مصادق عليه من لدن وزارة التربية الوطنية و التعليم العالي وتكوين الأطر و البحث العلمي

قطاع التربية الوطنية

في رحاب التفسير

السنة الثانية من سلك البكالوريا

شعبة التعليم الأصيل

مسلك العلوم الشرعية

مسلك اللغة العربية

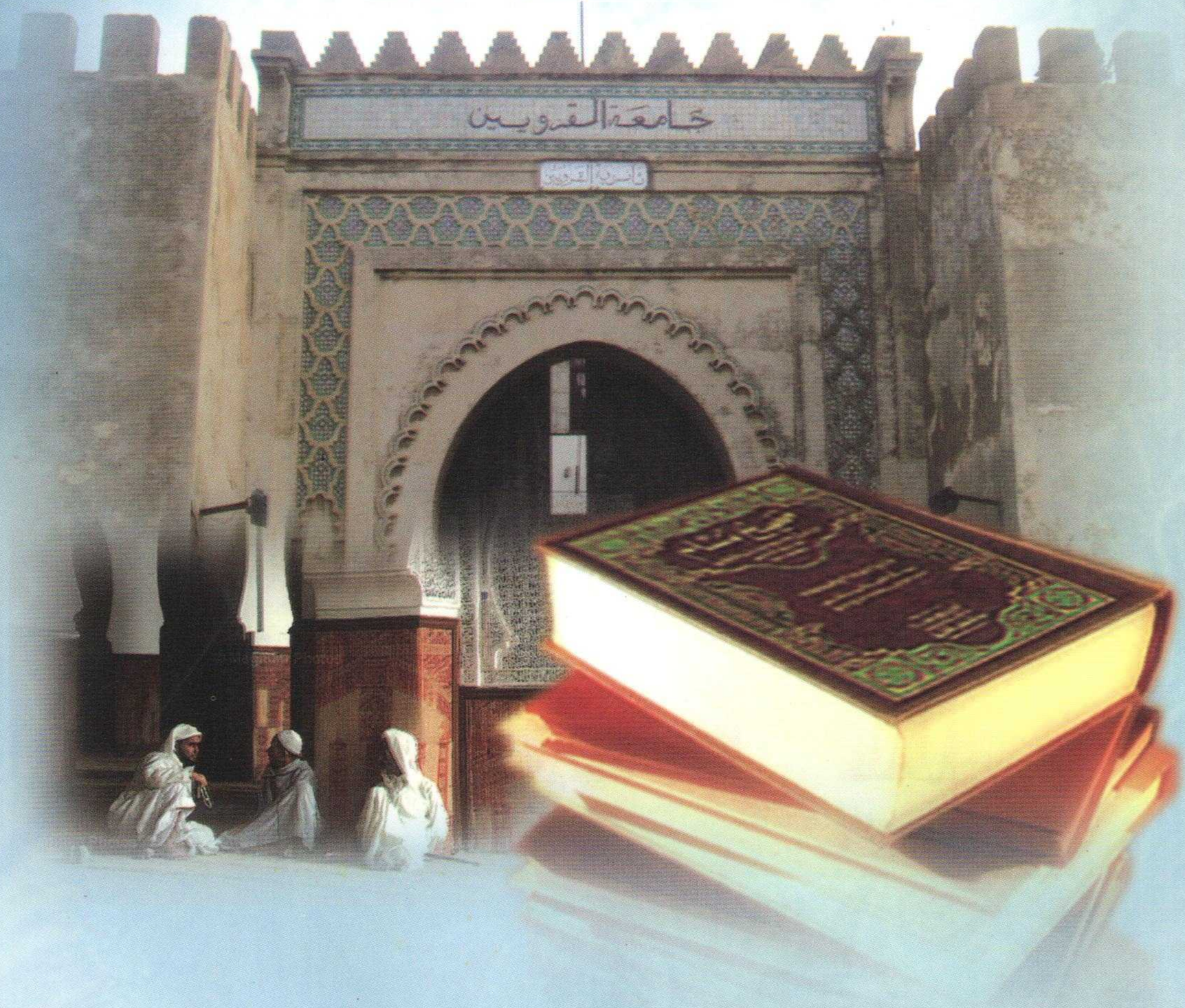

www.9alami.info

كتاب التلميذ (ة)

بسم الله على بركة الله

www.9alami.info

المحتويات

الدورة الأولى

الوحدة الأولى: علاقة الإنسان بالكون وبالإنسان

www.9alami.info

المحور الأول: علاقة الإنسان بالكون: علاقة تسخير

ر.ت	الموضوع	المضامين	الحصة	الأنشطة	التقويم
1	بعض مظاهر قدرة الله في السموات والأرض	من قوله تعالى: ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد: من الآية1إلى الآية4)	3س	1س	
2	نعم الله برا وبحرا وما تستوجبه من شكر	من قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(النحل: من الآية12إلى الآية16)	2س	1 س	
3	تنوع جوانب التسخير في البحار والزمان	من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾(فاطر: الآية12و13)	2س	1س	
4	بعض مظاهر الجمال في السماء والأرض	من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر:من الآية 17إلى23).	2س	1 س	تقويم ودعم
5	التذكير بنعم الله ومصنوعاته وتسخيرها للإنسان	من قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾(الزخرف: من الآية9إلى الآية13).	2س	1س	

المحور الثاني: العلاقة بين الإنسان والإنسان: علاقة تعاون واحترام

ر.ت	الموضوع	المضامين	الحصة	الأنشطة	التقويم
6	التثبت من الأخبار	من قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(الحجرات: من 6إلى8)	2س	1 س	
7	الإصلاح بين الطائفتين المتنازعتين	من قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الحجرات: 9و10)	2س	1 س	تقويم ودعم
8	تجنب السخرية واللمز	من قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(الحجرات: الآية11)	2س	1س	
9	اجتناب الظن والغيبة	من قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات: الآية12)	2س	1س	
10	التعارف بين الشعوب	قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13)	2س	1س	تقويم إجمالي
		المجموع	21س	10س	03 س

الدرس 1

درس نظري

بعض مظاهر قدرة الله في السماوات والأرض

www.9alami.info

أهداف الدرس

- الإيقان أن القرآن من عند الله حقا وصدقا.
- الاطلاع على بعض مظاهر قدرة الله في السماوات والأرض.
- معرفة الغاية من إيراد مظاهر القدرة الإلهية في بعض السور القرآنية.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة الرعد:

تسميتها: سُميت «سورة الرعد»، للكلام فيها عن الرَّعد والبرق والصواعق وإنزال المطر من السحاب.

ما اشتملت عليه: هذه السورة مدنية تتناول المقاصد الأساسية للسور المدنية، من تقرير الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، ودفع الشبه التي يثيرها المشركون، فابتدأت بتقرير كمال قدرته تعالى وعجيب خلقه في السماوات والأرض، والشمس والقمر، وسائر ما خلق في هذا الكون ردا على المشركين الذين أنكروا وجود الله تعالى ووحدانيته، ثم بعد ذلك ذكرت الأدلة القاطعة على انفراده تعالى بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنفع والضر، وتطرقت السورة أيضا لأوصاف أهل السعادة وأهل الشقاوة، وضربت لهم مثلا بالبصير والأعمى، وبينت مصير كل من الفريقين، ثم ختمت بشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة.

فما مظاهر قدرة الله تعالى في السماوات والأرض؟ وكيف يمكن توظيفها في دعوة الناس إلى تحقيق التوحيد وعبادة الله وحده؟

أقرأ وأتدبر:

قال تعالى: ﴿ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (1) الله الذي رفع السماوات
بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء
ربكم توقنون (2) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (3) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (4) ﴾

سورة الرعد: 1 - 4

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **العمد:** جمع عماد، وهو ما تقام عليه القبة أو البيت.
- **سخر:** ذلل وأخضع.
- **يدبر الأمر:** يُصَرِّفه على أحسن الوجوه وأحكمها وأكملها.
- **يفصل الآيات:** يبينها ويوضحها.

- **توقنون:** تعلمون العلم الثابت الحاصل عن المشاهدة والعيان.
- **مد الأرض:** بسطها.
- **الرواسي:** الجبال.
- **يُغْشِـي:** من التغشية، بمعنى التغطية والستر.
- **قطع متجاورات:** بقاع متلاقيات ومتقاربات.
- **صنوان:** واحدها صنو، والصنو: المثل، وأطلق على كل غصن صنو لمماثلته للآخر فى التفرع من أصل واحد.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أستخرج من النص صفات القرآن الكريم .
- أذكر دلائل الوحدانية والقدرة التي ينفرد بها الله عز وجل .
- أبين بعض أوجه تفصيله عز وجل دلائل الوحدانية والقدرة والحكمة من ذلك.

التفسير والبيان :

أولا: القرآن حق من عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾: لقد افتتحت سورة الرعد ببعض الحروف المقطعة ﴿ الٓمٓرۚ ﴾، وقد وقع خلاف بين العلماء في المعنى المقصود بتلك الحروف المقطعة التي افتتحت بها، وأقرب الأقوال إلى الصواب، أنها قد وردت في افتتاح بعض السور على سبيل الإِيقاظ والتنبيه إلى إعجاز القرآن .

فكأن الله تعالى يقول لأولئك المعارضين في أن القرآن من عند الله: هاكم القرآن ترونه مؤلفاً من كلام هو من جنس ما تألفون من كلامكم، ومنظوماً من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التى تنظمون منها كلماتكم .

فإن كنتم فى شك من كونه منزلاً من عند الله فأتوا بمثله، وادعوا من شئتم من الخلق لكي يعاونكم فى ذلك، فإن لم تستطيعوا أن تأتوا بمثله فأتوا بعشر سور من مثله، فإن لم تستطيعوا فأتوا بسورة واحدة من مثله... ومع كل هذا التساهل معهم في التحدي، فقد عجزوا وانقلبوا خاسرين، فثبت بذلك أن هذا القرآن من عند الله تعالى.

وقوله سبحانه: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾: ﴿ تِلۡكَ ﴾ اسم إِشارة، والمشار إليه الآيات، والمراد بها آيات القرآن الكريم، ويدخل فيها آيات السورة التى معنا. والمراد بالكتاب: القرآن الكريم الذى أنزله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم لِإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم، ورد على المشركين الذين زعموا أنه أساطير الأولين .

أي : تلك الآيات التى نقرأها عليك يا محمد فى هذه السورة هي آيات الكتاب الكريم، وما أنزله الله تعالى عليك فى هذا الكتاب، هو الحق الخالص الذى لا يلتبس به باطل، ولا يحوم حول صحته شك أو التباس.

وفى قوله سبحانه: ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ مزيد من التلطف فى الخطاب معه صلى الله عليه وسلم، فكأنه سبحانه يقول له: إن ما نزل عليك من قرآن هو من عند ربك الذى تعهدك بالرعاية والتربية حتى بلغت درجة الكمال.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾: استدراك لبيان موقف أكثر الناس من هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والمعنى: ولكن أكثر الناس لا يصدقون بما أنزل عليك من ربك، ولا يقرون بهذا القرآن وما فيه

من بديع الأمثال والحكم والأحكام التي تناسب مختلف العصور والأزمان، والتي لو سار الناس على سننها لسعدوا في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الاستدراك مدح لتلك القلة المؤمنة من الناس، وهم أولئك الذين فتحوا قلوبهم للحق منذ أن وصل إليهم، فآمنوا به، واعتصموا بحبله، ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم.

ثانيا: بعض مظاهر قدرة الله ووحدانيته في السماوات والأرض:

بعد أن ذكر الله سبحانه في الآية السالفة أن أكثر الناس لا يؤمنون، أعقبه بذكر البراهين على التوحيد والمعاد، فاستدل بأحوال السماوات وأحوال الشمس والقمر وأحوال الأرض، جبالها و أنهارها، وأزهارها ونخيلها، وأعنابها واختلاف ثمراتها، وتنوع غلاتها، على وجود الإله القادر الذي بيده الخلق والأمر وبيده الضر والنفع، وبيده الإحياء والإماتة، وهو على كل شيء قدير.

ويمكن تقسيم هذه الأدلة إلى:

- **قسم سماوي:** وذكر منه جملة أمور هي:

1 - **رفع السماوات بغير عمد**، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾، أي الله سبحانه هو الذى رفع هذه السموات الهائلة فى صنعها وفى ضخامتها، بغير مستند يسندها، وبغير أعمدة تعتمد عليها، وأنتم ترون ذلك بأعينكم بجلاء ووضوح.

والمراد بقوله (رَفَعَ) أي خلقها مرتفعة منذ البداية، وليس المراد أنه سبحانه رفعها بعد أن كانت منخفضة.

ولا شك أن خلق السموات على هذه الصورة من أكبر الأدلة على أن لهذا الكون خالقاً قادراً حكيماً، هو المستحق للعبادة والطاعة.

2 - **الاستواء على العرش**، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وعرش الله تعالى مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم. وقد ذكر لفظ العرش في إحدى وعشرين آية، كما ذكر الاستواء على العرش في سبع آيات من القرآن الكريم.

والمعنى: ثم استوى على العرش استواء يليق بذاته تعالى بلا كيف، ولا انحصار، ولا تشبيه، ولا تمثيل، لاستحالة اتصافه سبحانه بصفات المُحْدَثِين. قال الإمام مالك - رحمه الله -: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ج1. ص39.

3 - **تسخير الشمس والقمر**، الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾، أي وذلل الشمس والقمر وجعلهما طائعين لما أريد منهما لمنافع خلقه، فكل منهما يسير في منازله لوقت معين، فالشمس تقطع فلكها في سنة، والقمر في شهر، لا يختلف جري كل منهما عن النظام الذي قدر له، وإليه الإشارة بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿38﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿39﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿40﴾ ﴾ (يس: 38 - 40).

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿2﴾ ﴾ أي: أنه سبحانه يقضي ويقدر، ويتصرف في أمر خلقه على أكمل الوجوه، وأنه سبحانه ينزل آياته القرآنية واضحة مفصلة، ويسوق الأدلة الدالة على وحدانيته وقدرته بطرق متعددة، وبوجوه متنوعة.

وقد فعل سبحانه ما فعل - من رفعه السماء بلا عمد، ومن تسخيره للشمس والقمر، ومن تدبيره لأمور خلقه، ومن تفصيله للآيات - لعلكم، عن طريق التأمل والتفكير فيما خلق، توقنون بلقائه، وتعتقدون أن من قدر على إيجاد هذه المخلوقات

العظيمة لا يعجزه أن يعيدكم إلى الحياة بعد موتكم، لكى يحاسبكم على أعمالكم.

وقال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ و ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ بصيغة المضارع. وقال قبل ذلك ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ و﴿ سَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ بصيغة الماضي. لأن التدبير للأمور، والتفصيل للآيات، يتجددان بتجدد تعلق قدرته سبحانه بالمقدورات. وأما رفع السماوات، وتسخير الشمس والقمر، فهي أمور قد تمت واستقرت دفعة واحدة.

-**قسم أرضي:** بعد أن ذكر سبحانه بعض مظاهر قدرته فى عالم السماوات، أتبعه بذكر بعض هذه المظاهر فى عالم الأرض فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿3﴾ ﴾

1 - **مد الأرض**، في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ والمعنى: وهو سبحانه الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً إلى المد الذي لا يدركه البصر، ليتيسر الاستقرار عليها. ولا تنافي بين مدها وبسطها، وبين كونها كروية، لأن مدها وبسطها على حسب رؤية العين، وكرويتها حسب الحقيقة.

2 - **تثبيت الأرض بالجبال**، في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾، أي وأرساها بجبال راسيات شامخات لا تنتقل ولا تتحرك حتى لا تميد وتضطرب.

3 - **جريان الأنهار**، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾، أي وجعل فيها أنهارا جارية لمنافع الإنسان والحيوان، فيسقي الإنسان ما جعل الله فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال، ويجعلها لنفسه طعاما وفاكهة، ويكـون منها مادة حياته في طعامه وشرابه وغذائه.

4 - **تنوع الثمرات**، في قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾، أي وجعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرا وأنثى حين تكونها، فقد أثبت العلم حديثا أن الشجر والزرع لا يولدان الثمر والحب إلا من اثنين ذكر وأنثى، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو التذكير في شجرة وعضو التأنيث في شجرة أخرى كالنخل، وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة كالقطن، وإما يكون كل منهما في زهرة كالقرع.

5 - **تعاقب الليل والنهار**، في قوله تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾، وفيه بيان لمظهر آخر من مظاهر قدرته سبحانه ورحمته بعباده. والمعنى: أن من مظاهر قدرته سبحانه أنه يجعل الليل غاشيا للنهار مغطياً له فيذهب بنوره وضيائه، فيصير الكون مظلماً بعد أن كان مضيئاً. ويجعل النهار غاشياً لليل، فيصير الكون مضيئاً بعد أن كان مظلماً، وفيه من منافع الناس ما فيه، إذ بذلك يجمع الناس بين العمل والراحة، وبين السعي والسكون. كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿86﴾ ﴾ (النمل: 86).

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿3﴾ ﴾، أي: إن في ذلك الذي فعله الله تعالى من بسط الأرض طولاً وعرضاً ومن تثبيتها بالرواسي، ومن شقها بالأنهار... لآيات باهرة، ودلائل ظاهرة على قدرة الله تعالى.

6 - **تنوع مكونات الأرض**، في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۖ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿4﴾ ﴾ والمعنى: أن من مظاهر قدرة الله - أيضا - ومن الأدلة على وحدانيته سبحانه، أنه جعل فى الأرض بقاعا كثيرة متجاورة، ومع ذلك فهي

مختلفة فى أوصافها وفى طبيعتها. وبساتين كثيرة من أعناب ومن كل نوع من أنواع الحبوب. وفيها كذلك نخيل يجمعها أصل واحد فهي صنوان، ونخيل أخرى لا يجمعها أصل واحد فهي غير صنوان. وكلها ﴿ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ لا اختلاف في ذاته، سواء أكان السقي من ماء الأمطار أم من ماء الأنهار، ومع وجود أسباب التشابه، فإنه لعظيم قدرته وإحسانه سبحانه يفضل بعضها على بعض ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ آخر منها ﴿ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾، أي: في اختلاف الطعوم.

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿4﴾ ﴾ تذييل قصد به الحض على التعقل والتدبر. أي: إن في ذلك الذي فصل الله تعالى أحواله من اختلاف أجناس الثمرات والزروع في أشكالها، وألوانها، وطعومها، وأوراقها... مع أنها تسقى بماء واحد، وتنبت في أرض متجاورة، إن في ذلك كله لدلائل باهرة، على قدرة الله تعالى واختصاصه بالعبادة، لقوم يستعملون عقولهم في التفكير السليم، والتأمل النافع. أما الذين يستعملون عقولهم فيما لا ينفع، فإنهم يمرون بالعبر والعظات وهم عنها معرضون.

أقوم تعلماتي:

1 - أحدد الصفة التي نص عليها في الآية الكريمة بخصوص القرآن الكريم.

2 - أبين ما الذي يستلزم من وجود هذه الصفة؟

3 - أستعرض كلا من الأدلة السماوية والأرضية الواردة في النص على سبيل الإجمال.

4 - أورد بعض الاستشهادات من القرآن الكريم في نفس السياق..

5 - أشرح المفردات التالية: متجاورات - جنات من أعناب- صنوان وغير صنوان - الأكل.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- من لطف الله تعالى بعباده ورحمته بهم أنه أوضح لهم الأدلة ولفت نظرهم إلى ما يدل على وجوده وكمال قدرته وعلمه وإرادته.

- الأدلة على وجود الله تعالى متنوعة: سماوية وأرضية، فالسماوية ثلاثة: رفع السماوات بغير أعمدة، والاستواء على العرش، وتسخير الشمس والقمر. وأما الأدلة الأرضية فهي ستة: بسط الأرض وتثبيتها بالجبال الراسيات، وجريان الأنهار، وجعل الثمار ذات وجهين اثنين، وتغطية الليل النهار، وتفاوت ما تنتجه الأرض من حبوب وزروع وثمار وأشجار.

- ثبوت كروية الأرض عن طريق آيات أخرى، وبما وصل إليه علم الفلك والفضاء، وهذا لا ينافي الآية الكريمة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾.

- الدعوة القوية إلى إعمال الفكر والعقل والاسترشاد بما في الكون من دلائل وعلامات واضحة على وجود الله تبارك وتعالى، وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته.

- قوله تعالى: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾، قال الحسن البصري: "ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد، وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد".

أثري تعلماتي:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿71﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿72﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿73﴾ ﴾

القصص: 72 - 73

1 - أستخرج من الآيتين ما يدل على قدرة الله عز وجل.

2 - أذكر الحكمة من خلق كل من الليل والنهار.

الدرس 2

درس نظري

نِعَمُ اللّه برا وبحرا وما تستوجبه من شكر

أهداف الدرس

- معرفة بعض النعم التي منَّ الله بها على الناس برا وبحرا.
- إدراك علة وجود هذه النعم وما تستوجبه من أمور.
- الالتزام بالشكر عند كل نعمة قولا وفعلا.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة النحل:

تسميتها: سميت هذه السورة الكريمة «سورة النحل» لاشتمالها على قصة النحل، وسميت أيضا سورة «النِّعَم» لتعداد نعم الله الكثيرة فيها على العباد.

ما اشتملت عليه: هذه السورة مكية، ماعدا من الآية 126إلى الآية 128 فمدنية، وسورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية والوحي والبعث والنشور، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية في هذا الكون الفسيح، فابتدأت بأمر الوحي الذي أنكره المشركون، ثم انتقلت إلى تقرير مبدإ وحدانية الله ولفت الأنظار إلى آثار صنعه تعالى الدالة على كمال صفاته، ثم ذكَّرت الناس بنتيجة الكفر بنعم الله، وحذرتهم من عاقبة الجحود والعناد، و ختمت بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والعفو عما يلقاه في سبيل تبليغ دعوة الله.

والآيات التي تؤطر الدرس تستعرض آيات الخلق، وآيات التدبير، وآيات النعمة، وهي آيات تدل كلها على وجود الإله الواحد الأحد المستحق للعبودية وحده، فما هي إذن هذه النعم؟ وما الواجب على المنعم عليه اتجاهها؟ ومن المستحق للتفرد بالملك والسلطان على هذا الكون الفسيح؟

أقرأ وأتدبر:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿12﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿13﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿14﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿15﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿16﴾﴾

سورة النحل: 12 - 16

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **ذَرَأَ:** خلق، ذرأ الله الخلق يذرأهم ذرءا، أي خلقهم.
- **يَذَّكَّرُونَ:** يتعظون ويعتبرون.
- **لَحْمًا طَرِيًّا:** سمكاً غضاً شهيا.
- **حِلْيَةً:** اسم لما يتحلى به الناس. وجمعها حِلى وحُلى: كاللؤلؤ والمرجان وما يشبههما.

- **مَوَاخِرَ فِيهِ:** المخر: الشق. يقال: مخرت السفينة تمخَر، وتمخُر، إذا جرت في الماء وأخذت تشقه بمقدمتها.
- **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ:** وتطلبوا أرزاقكم بالتجارة وغيرها.
- **تَمِيدَ بِكُمْ:** تضطرب وتميل.
- **عَلَامَاتٍ:** أمارات ومعالم تستدلون بها على الطرق.
- **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ:** يعرفون الطرق والقبلة ليلا.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أستخرج النعم الواردة في الآية الكريمة.
- أبين ما الذي يجب على المنعم عليه فعله تجاه هذه النعم.

التفسير والبيان :

أولا: نعم الله على الإنسان في البر والبحر:

ومن آياته سبحانه الدالة على وحدانيته وقدرته، أنه سَخَّرَ لَكُمُ الليل والنهار يتعاقبان فيكم لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا الرزق بالنهار. وأنه سبحانه سخر لكم الشمس والقمر يدأبان في سيرهما بدون كلل أو اضطراب، بل يسيران من أجل منفعتكم ومصلحتكم بنظام ثابت، كما قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يّـس:40). وأنه سبحانه أوجد النجوم مسخرات بأمره وإذنه، لكي تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، أي: إن في ذلك المذكور من تسخير الليل والنهار وغيرهما لمنفعتكم ومصلحتكم - يا بني آدم - لآيات بينات، ودلائل واضحات، على وجوب العبادة لله تعالى وحده، لقوم يعقلون نعم الله تعالى، ويستدلون بها على وحدانيته سبحانه وقدرته. وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ۗ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف:54).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، معناه: وسخر لكم - أيضاً - ما أوجده في الأرض من أجل منفعتكم من عجائب الأمور، ومختلف الأشياء، من حيوان ونبات، ومعادن مختلفة الألوان والأجناس والخواص.

ولا شك أن في اختلاف الألوان والمناظر والهيئات وغير ذلك الدلالة الواضحة على قدرة الله تعالى وعلى أنه الخالق لكل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:22).

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، أي: إن في ذلك الذي بيناه لكم لآية واضحة على قدرة الله تعالى لقوم يعتبرون، ويتذكرون آلاء الله ونعمه، فيشكرونه عليها، ويخلصون له العبادة.

وبعد أن ذكر سبحانه جملة من نعمه التي أوجدها لعباده في البر، أتبع ذلك ببيان جانب من نعمه عليهم عن طريق خلقه للبحر، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، ففي هذه الآية الكريمة بين سبحانه أربع نعم على عباده في تسخير البحر لهم:

- أما النعمة الأولى: فتتجلى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، أي : وهو سبحانه وحده الذي ذلل لكم البحر، بحيث مكنكم من الانتفاع به، وأقدركم على ركوبه، وعلى الغوص فيه، وعلى الصيد منه، لتأكلوا من أسماكه لحما طريا غضا شهيا.

ووصف سبحانه لحم أسماكه بالطراوة لأن أكله في هذه الحالة أكثر فائدة، وألذ مذاقا، فالمنة بأكله على هذه الحالة أتم وأكمل.

وقال بعض العلماء: وفى وصفه بالطراوة، تنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله، لأنه يسرع إليه الفساد والتغير، وقد أثبت الطب أن تناوله بعد ذهاب طراوته من أضر الأشياء، فسبحان الخبير بخلقه، ومعرفته ما يضر استعماله وما ينفع، وفيه أيضا إيماء إلى كمال قدرته تعالى في خلقه الحلو الطري في الماء المر الذي لا يشرب .

وقوله: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ نعمة ثانية من نعم الله تعالى للإنسان في تسخير البحر له. ومعناه: فمن فوائد تسخير البحر لكم، أنه سبحانه أقدركم على الغوص فيه، لتستخرجوا منه ما يتحلى به نساؤكم، كاللؤلؤ والمرجان، وما يشبههما. قال تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿19﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿20﴾ ﴾(الرحمن: 19 - 20).

والتعبير بقوله سبحانه: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا۟ ﴾ يشير إلى كثرة الإخراج، فالسين والتاء للتأكيد، مثل استجاب بمعنى أجاب. كما يشير إلى أن من الواجب على المسلمين أن يباشروا بأنفسهم استخراج ما في البحر من كنوز وألا يتركوا ذلك لغيرهم.

وقوله سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ نعمة ثالثة من نعمه تعالى في تسخير البحر للناس، أي: تشاهد أيها العاقل بعينيك السفن وهي تشق البحر بسرعة، متجهة من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى آخر، لا تحرسها إلا رعاية الله تعالى وقدرته، كما قال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿41﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿42﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿43﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿44﴾ ﴾(يس:41 - 44).

والتعبير بقوله: ﴿ وَتَرَى ﴾ لاستحضار الحالة العجيبة عن طريق الرؤية البصرية، وهى حالة تدل على قدرة الله تعالى ورحمته بعباده. حيث سخر لهم السفن لتجري في البحر بأمره.

ثم بين سبحانه النعمة الرابعة من نعم تسخير البحر للناس فقال تعالى: ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾، أي: وسخر لكم البحر - أيضا - لتستخرجوا منه الحلية، ولتطلبوا فضل الله تعالى ورزقه، عن طريق التجارات والأسفار على ظهره من مكان إلى آخر، سعيا وراء الربح.

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بحض الناس على شكره على نعمه فقال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿14﴾ ﴾

أي: ولعلكم تشكرون الله تعالى على آلائه، حيث سخر لكم البحر، وجعله وسيلة من وسائل منفعتكم ومعاشكم.

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عن فوائد الجبال والأنهار والسبل والنجوم، فقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾، أي: وألقى سبحانه في الأرض جبالا ثوابت لكي تقر وتثبت ولا تضطرب بما عليها. ومن الآيات التي تشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾(لقمان: من الآية10). وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿6﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿7﴾ ﴾ (النبأ: 6 - 7).

ثم بين سبحانه نعما أخرى لما ألقاه في الأرض فقال: ﴿ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿15﴾ ﴾ أي: وجعل في الأرض

﴿ أَنْهَٰرًا ﴾ تجري من مكان إلى آخر، فهي تنبع في مواضع. وتصب في مواضع أخرى، وفيها نفع عظيم للجميع، إذ منها يشرب الناس والدواب والأنعام والنبات.

وجعل فيها كذلك طرقا ممهدة، يسير فيها السائرون من مكان إلى آخر. ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿15﴾ ﴾ بتلك السبل إلى المكان الذي تريدون الوصول إليه بدون تحير أو ضلال.

وقد كرر القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿19﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿20﴾ ﴾(نوح: 19 - 20).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿16﴾ ﴾، أي: ومن مظاهر نعمه - أيضا - أنه سبحانه جعل في الأرض معالم وأمارات من جبال كبار، وآكام صغار، وغير ذلك، ليهتدي بها المسافرون في سفرهم، وتكون عونا لهم على الوصول إلى غايتهم، وبمواقع النجوم هم يهتدون في ظلمات البر والبحر، إلى الأماكن التي يبغون الوصول إليها.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿97﴾ ﴾(الأنعام:97).

وفي الآية إيماء إلى أن مراعاة النجوم أصل في معرفة الأوقات والطرق والقبلة، ويحسن أن نتعلم من علم الفلك ما يفيد تلك المعرفة.

ثانيا: نعم الله وآلاؤه تستوجب النظر والشكر:

إن كل ما يوجد في الكون من نعم في البر والبحر هي من الله جل في علاه، فآيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها إلا للقلوب الذاكرة العابدة، لأن هذه القلوب انكشفت عنها الحجب وتفتحت واتصلت بالكون العجيب، ولذلك نص القرآن على أن الذي يهتدي بآيات الكون هو صنف معين من الناس الموصوفين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿190﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿191﴾ ﴾ (آل عمران: 190 - 191). فهؤلاء هم الذين ينتفعون بآيات الكون، لأنهم لم يقفوا عند حدود المنظر المشهود البادي للعيان، بل نظروا إلى اليد التي تسيره والقدرة التي تصنعه، إنهم يستخدمون أبصارهم وأسماعهم وعقولهم وأفكارهم على خير وجه في هذا المجال، مسترشدين بآيات الكتاب التي تعين السمع والبصر والفكر والعقل على التوصل إلى خير ما يمكن للإنسان أن يصل إليه.

أما الذين يشاهدون الحدث ولا يتجاوزونه بعقولهم وأفكارهم إلى صانعه وخالقه، ولا يدركون الحكمة من وراء الخلق، كما قال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿7﴾ ﴾(الروم:7).

ولم ينتفعوا بالآيات الكونية، لأنهم لم ينظروا إليها من خلال المنظار القرآني الذي يأمر بالاعتبار: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿101﴾ ﴾(يونس:101).

فإن القرآن ينكر عليهم تركهم النظر والاعتبار في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف:185).

الدرس 3

درس نظري

تنوع جوانب التسخير في البحار والزمان

أهداف الدرس

- تعرف بعض الآيات الدالة على قدرة الله.
- إدراك بعض جوانب التسخير في البحار والليل والنهار.
- استشعار عظمة الله كلما وقف الإنسان أمام هذا الكتاب المنظور.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة فاطر:

تسميتها: سُميت «سورة فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل في طليعتها لما في هذا الوصف من الدلالة على الإبداع والاختراع لا على مثال سابق، ولما فيه من التصوير الدقيق المشير إلى عظمة ذي الجلال وباهر قدرته وعجيب صنعه.

ما اشتملت عليه: السورة مكية، تحدثت في البداية عن الخالق المبدع الذي فطر الأكوان، وخلق الملائكة والإنس والجن، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور في صفحات هذا الكون المنظور، وتحدثت عن الفارق بين الكافر والمؤمن، وعن دلائل القدرة في اختلاف أنواع الثمار، وفي سائر المخلوقات من البشر والدواب والأنعام، وفي اختلاف أشكال الجبال والأحجار وألوانها، وتحدثت بعد ذلك عن إنزال القرآن، وانقسام الأمة إلى مقصر ومحسن وسابق بالخيرات.

وتتناول الآيتان المؤطرتان للدرس بعض جوانب تسخير الله للبحار والزمان. فما جوانب التسخير فيهما؟ وما أنواعه؟ وماذا نستنتج من تنوع هذا التسخير؟

أقرأ وأتدبر:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿12﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿13﴾ ﴾

سورة فاطر: 12-13

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **الْبَحْرَانِ:** العذب والمالح.
- **عَذْبٌ:** حلو لذيذ طعمه.
- **فُرَاتٌ:** مزيل للعطش.
- **سَائِغٌ شَرَابُهُ:** سهل انحداره لخلوه مما تعافه النفس.

- **أُجَاجٌ:** شديد الملوحة والمرارة.
- **يُولِجُ:** يدخل، فيزيد في كل من الليل والنهار بالنقص من الآخر.
- **تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ:** تعبدون من غيره.
- **قِطْمِيرٍ:** القشرة البيضاء الرقيقة الملتفة على النواة. ويضرب مثلاً لأقل شيء وأحقره.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أحدد فيم يختلف البحران العذب والمالح، وفيم يتفقان.
- أستخرج من الآيات بعض جوانب التسخير في البحار الدالة على فضل الله ونعمه.
- أستخلص من الآيات البراهين الدالة على قدرة الله التامة.

التفسير والبيان :

أولا : الائتلاف والاختلاف في البحرين العذب والمالح، وجوانب التسخير في البحار:

بعد إيراد أدلة إثبات البعث، أورد الله تعالى هنا الأدلة والبراهين الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته بخلقه أشياء متحدة في الجنس، ولكنها مختلفة المنافع، فقال سبحانه عن اختلاف البحرين: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، أي لا يتساوى ولا يتشابه البحران في الحقيقة، أحدهما عذب الماء سائغ الشراب يزيل العطش ويمنع الظمأ، يجري في الأنهار والجداول بحسب الحاجة إليه في الأقاليم والأمصار، وثانيهما مالح شديد الملوحة لا يستساغ شربه وإن كان هو أصل المياه العذبة، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار.

إن التنويع في خلق الماء واضح، ووراءه حكمة ظاهرة، فالجانب العذب السائغ نعرف بعضا من حكمة الله فيما نستخدمه وننتفع به، وهو قوام الحياة لكل حي، أما الجانب المالح المر وهو البحار والمحيطات، فيقول العلماء في بيان التقدير العجيب في تصميم هذا الكون: إنه على الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهر - ومعظمها سام - فإن الهواء باق دون تلويث، ودون تغير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان، وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء - أي المحيط - الذي استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنبات، وأخيرا الإنسان نفسه...

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل مياه البحر المالحة في أرض منخفضة، ومياه الأنهار العذبة في أرض مرتفعة عن سطح البحر، ولو انعكس الأمر، لطغت مياه البحار على مياه اليابسة، ولأفسد الملحُ العذْبَ، وأصبح الماء كله مرًا، ووقع الناس في العسر والحرج، قال الله تعالى مؤكدا ذلك: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿53﴾﴾ (الفرقان:53).

برزخا: أي فاصلا وحاجزا بين الماءين يمنع اختلاطهما، وهو ارتفاع أرض العذب وانخفاض أرض المالح، إنه الميزان الدقيق الذي وضعه تعالى رحمة بعباده على الأرض مما منع أن يغرقوا بمياه البحر، أو على الأقل أن يضطروا إلى شرب مياهه المالحة، أو أن يهلك زرعهم بسبب ذلك.

ورغم اختلاف البحرين، فإنهما يلتقيان في تسخيرهما للإنسان، ومن جوانب هذا التسخير:

- **أخذ اللحم الطري والحلية منهما،** قال تعالى: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، أي: ومن كل البحار تأكلون الأسماك والحيوانات البحرية على اختلافها غضة طرية فضلا من الله ومنة، وتستخرجون الحلية الملبوسة منهما، وهي اللؤلؤ والمرجان كما قال عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿22﴾﴾ (الرحمن:22). والمرجان واحدته مرجانة وهو صغار اللؤلؤ، وليس كل اللؤلؤ الطبيعي ذا منشأ بحري، فيمكن أن ينتج في رخويات ماء الأنهار، لذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾، أي من ماء البحار وماء الأنهار.
- **جري السفن على مياهها دون أن تغوص،** قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

فالسفن في البحر تشق الماء شقا، مقبلة مدبرة، حاملة الأقوات والمؤن ومختلف السلع من بلد إلى آخر، سخر لكم ذلك لتطلبوا بأسفاركم بالتجارة والانتقال بين البلدان من فضل الله، ولتشكروا ربكم الذي سخر لكم هذا البحر العظيم، حيث تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم دون عائق ولا مانع، وقد أكد الله هذا التسخير في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿12﴾ ﴾ (الجاثية:12).

ثانيا: تنوع جوانب التسخير في الزمان الدال على عظمة الله وقدرته:

قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾. بَيَّنَ سبحانه في هذه الآية نعما أخرى تتجلى في الليل وفي النهار، وفي الشمس والقمر، أي: ومن مظاهر فضله عليكم، ورحمته بكم، أنه أوجد لكم الليل والنهار بهذا النظام البديع، بأن أدخل أحدهما في الآخر، وجعلهما متعاقبين، مع زيادة أحدهما عن الآخر في الزمان، على حسب اختلاف المطالع، والمغارب، وأوجد - أيضا - بفضله ورحمته الشمس والقمر لمنفعتكم، وكل واحد منهما يسير بنظام بديع محكم، إلى الأجل والوقت الذي حدده الله تعالى لانتهاء عمر هذه الدنيا. كل يجري بمقدار معين: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿40﴾ ﴾ (يّس:40).

وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، ورد بتعابير أخرى في القرآن، منها: تكوير الليل على النهار والنهار على الليل في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ (الزمر: من الآية5)، واختلاف الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿190﴾ ﴾ (آل عمران:190). ومن معاني اختلافهما، تعاقبهما واختلاف خواصهما، إذ لولا أن الأرض تدور حول نفسها بشكل مائل، لانعدمت الفصول ولتساوى الليل والنهار ولتفاوتت درجات الحرارة بين الليل والنهار تفاوتا كبيرا تنعدم معه الحياة على سطح الأرض.

وكان من تدبير الله أن جعل حركة الكون موافقة لحركة الحياة، فجعل الليل لباسا ساترا يتم فيه السبات والراحة، وجعل النهار معاشا تتم فيه الحركة والنشاط، وبهذا توافق خلق الله وتناسق، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾(الفرقان:47).

وتسخير الشمس والقمر وجريانهما للأجل المرسوم لهما، والذي لا يعلمه إلا خالقهما، هو الآخر ظاهرة وحركة دائبة لا تفتر ولا تختل، قال عز وجل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾(إبراهيم: من الآية33)، أي: إن حركة الشمس والقمر مستمرة ليل نهار ومن دون انقطاع.

لقد سخر الله تعالى الشمس والقمر لخدمة الإنسان وكل الأحياء على سطح الأرض، فلولا الشمس لما كانت هناك حياة على سطح الأرض، ولما كان هناك نبات ولا حيوان... إنها مصدر للطاقة لا ينضب، وهي لا تسبب أي تلوث، ثم هي مصدر لكل الطاقات، من طاقات للرياح والمياه وغيرها.

بعد عرض تلك المشاهد المتنوعة، العميقة الدلالة، يعقب الله تعالى عليها بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾، أي: ذلكم الذي أوجد كل هذه المخلوقات لمنفعتكم، هو الله تعالى ربكم، وهو وحده الذي له ملك هذا الكون، لا يشاركه فيه مشارك، ولا ينازعه في ملكيته منازع.

ثم أبان الله في مقابل ذلك ما ينافي صفة الألوهية فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾، أي والذين تعبدونهم من دون الله تعالى، وتصفونهم بأنهم آلهة، لا يملكون شيئا مهما صغر ولو كان حقيرا بمقدار القطمير الذي هو قشرة النواة الرقيقة، بل هؤلاء ملك لله القادر المقتدر،الذي لا يستحق العبادة إلا هو.

وبهذا نرى الآيات الكريمة، قد طوفت بنا في أرجاء هذا الكون، وساقت لنا ألوانا من نعم الله تعالى على الناس، كالرياح، والسحاب، والأمطار والبحار، والليل والنهار، والشمس والقمر... وهي نعم تدل على وحدانية المنعم بها، وعلى قدرته عز وجل، وفى كل ذلك هداية إلى الحق لكل عبد منيب.

الدرس 4

درس نظري

بعض مظاهر الجمال في السماء والأرض

أهداف الدرس

- تعرف بعض مظاهر الجمال المودعة في السماء والأرض.
- التفاعل الإيجابي مع هذه الصور الجمالية في الكون.
- قراءة آيات الله المنظورة في الكون لتأمل عظمته.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة الحجر:

تسميتها: سُميت السورة الكريمة «سورة الحجر» لأن الله تعالى ذكر ما حدث لقوم صالح، وهم قبيلة ثمود وديارهم بالحجر بين المدينة والشام، فقد كانوا أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها، وكأنهم مخلَّدون في هذه الحياة لا يعتريهم موت ولا فناء، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح. وهي سورة مكية ماعدا الآية 87 فمدنية.

ما اشتملت عليه: يدور محور السورة حول مصارع الطغاة والمكذبين لرسل الله في شتى الأزمان والعصور، ولهذا ابتدأت السورة بالإنذار والتهديد، وعرضت لدعوة الأنبياء، وبينت موقف أهل الشقاوة من الرسل عليهم السلام، وتحدثت عن بعض آثار قدرة الله تعالى في هذا الكون العجيب، كما عرضت السورة قصة خلق آدم وإبليس، وما جرى من سجود الملائكة لآدم، واستكبار إبليس عن السجود، وعرضت أيضا لقصص بعض الأنبياء تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه، وختمت السورة بالتذكير بنعمة إنزال القرآن.

والآيات التي تؤطر الدرس تلفت أنظار الإنسان إلى الكون الكبير لينظر في أعماقه ويتدبر خلقه ليبتعد عن الغفلة، ويتأمل مظاهر الجمال في السماء والأرض، والتي توحي إلى روعة خلق الله وبديع صنعته، فما هي بعض هذه المظاهر الجمالية في السماء والأرض؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿16﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿17﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿18﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿19﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿20﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿21﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿22﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿23﴾﴾

سورة الحجر: 16 - 23

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **بُرُوجًا:** جمع برج، وهو البناء المرتفع، سميت بذلك المجموعات من النجوم الثابتة.
- **رَجِيم:** مرجوم بالحجارة .
- **اسْتَرَقَ السَّمْعَ:** اختلس وسرق السمع، والمراد به: الاستماع إلى المتحدث خفية.
- **شِهَابٌ:** شعلة ساطعة من النار، منفصلة من الكواكب التي ترى في السماء ليلاً، كأنها كوكب ينقض بأقصى سرعة.

- مَـدَدْنَاهَـا: بسطناها ومهدناها.
- مَـوْزُونٍ: مقدر بميزان الحكمة.
- لَـوَاقِـحَ: حوامل تحمل ما يكون سببا في نزول الأمطار.
- الْوَارِثُونَ: الباقون بعد زوال الكون وفَنائه.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أستعرض بعض مشاهد الكون الواردة في الآيات.
- أحدد بعض مظاهر الجمال في السماء والأرض وما بينهما في الآيات.

التفسير والبيان :

أولا: بعض مظاهر الجمال في السماء:

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كفر الكافرين وعجزهم وعجز أصنامهم، وأنهم مهما أوتوا من المعجزات لم يفدهم ذلك شيئا، أعقب ذلك ببيان أنهم في غنى عن كل هذا، فإن في السماء وبروجها، وشمسها وقمرها، وكواكبها السيارة والثابتة...عبرة لمن اعتبر، فهلا نظروا إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿16﴾﴾، أي خلقنا في السماء نجوما كبارا ثوابت وسيارات، وجعلناها وكواكبها بهجة لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من عجائبها الظاهرة وآياتها الباهرة، التي يحار الفكر في دقائق صنعتها وقدرة مبدعها.

والبروج على المشهور من الأقوال هي منازل الشمس والقمر والنجوم السيارة، وهي الإثنا عشر المشهورة كما تدل على ذلك التجربة، والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أَجَلِّ العلوم، ويستدلون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجذب...

ولقد أقام القرآن الاستدلال بالبروج على عظيم قدرته وانفراده بالخلق، لأنهم قد عرفوا دقائقها ونظامها الذي تهيأت به لأن تكون وسيلة لضبط الوقت.

وجاء ذكر الله تعالى لتزيين السماء في آيات أخرى بوصف السماء بالدنيا، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصافات 6) ،وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت من الآية: 12) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك من الآية: 5).

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿16﴾﴾ معناه: وزينا السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والأضواء، لتكون جميلة في عيون الناظرين إليها، وآية للمتفكرين في دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه.

وهذه الجملة الكريمة تلفت الأنظار إلى أن الجمال غاية مقصوده في خلق هذا الكون، كما تشعر المؤمنين بأن من الواجب عليهم أن يجعلوا حياتهم مبنية على الجمال في الظاهر وفى الباطن، تأسيا بسنة الله تعالى في خلق هذا الكون.

وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿17﴾﴾، أي منعنا كل شيطان رجيم من الاقتراب من السماء، كما قال في آية أخرى : ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾(الصافات من الآية: 7). فالشيطان موكل بالأرض وبالغاوين من أبناء آدم فيها، أما السماء فمنعناه من الاستقرار فيها، ومن أن ينفث فيها شروره ومفاسده، لأنها موطن الأخيار الأطهار.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿18﴾﴾ معناه: لكن من اختلس السمع من الشياطين، بأن حاول الاقتراب من السماء، فإنه يتبعه شهاب واضح للناظرين فيحرقه، أو يحول بينه وبين استراق السمع.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿6﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿7﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿10﴾﴾ (الصافات من الآية:6-10).

قال بعض العلماء ما ملخصه: والمقصود منع الشياطين من الاطلاع على ما أراد الله عدم إطلاعهم عليه... وربما استدرج الله تعالى الشياطين وأولياءهم، فلم يمنع الشياطين من استراق شيء قليل يلقونه إلى الكهان؛ فلما أراد سبحانه عصمة الوحي منعهم من ذلك بتاتا...

وفي سورة الجن دلالة على أن المنع الشديد من استراق السمع كان بعد البعثة النبوية، وبعد نزول القرآن، إحكاماً لحفظ الوحي من أن يلتبس على الناس بالكهانة. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿8﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿9﴾﴾ (الجن من الآية: 8 - 9).

والشياطين إنما يسترقون غير الوحي من الأخبار، أما الوحي فهم ممنوعون منه دائما لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء من الآية: 212).

ثانيا: مشاهد الكون في الأرض التي تمثل بعض مظاهر الجمال فيها:

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة الدلائل السماوية على وحدانية الله أعقبها بذكر الدلائل الأرضية وهي: الأرض الممدودة، والرواسي الراسخة، والنبت الموزون، والرياح اللواقح، والماء والسقيا، والحياة والموت، فقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، أي بسطناها وجعلناها ممدودة الطول والعرض، ممهدة للانتفاع بها على الوجه الأكمل، وهذا ما يظهر في مرأى العين للإنسان الذي يعيش على سطح الأرض كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات من الآية: 48)، لكن لا يعني ذلك نفي كروية الأرض، لأن أجزاء الكرة العظيمة تظهر كالسطح المستوي لمن يقف على جزء منها، وهذا دليل واضح على كمال قدرته تعالى، لأن الإنسان يراها منبسطة رغم تكويرها، ثابتة رغم تحركها.

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، أي وجعلنا فيها جبالا ثوابت كي لا تضطرب بساكنيها، كما في قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾(النحل من الآية: 15)، وقوله:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿6﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿7﴾﴾ (النبأ من الآية: 6-7)، أي أرسيناها بالجبال لئلا تميل وتتحرك وتضطرب، ولقد اكتشف العلماء في القرن العشرين، أن الأرض تصدع وتتحرك ألواح قشرتها بشكل دائم، ولكن ببطء لا يُحَسُّ به، فالجبل الذي يخرج من باطن الأرض إلى سطحها هو بمثابة الوتد الذي يثَبِّتُ قشرة الأرض عن جانبيه، ولقد ثبت علميا أن الجبل يمتد أربع مرات ونصفا تقريبا داخل طبقات الأرض السفلى، حسبما أثبتته وسائل التصوير الهولوغرافي.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿19﴾﴾، أي أنبتنا في الأرض من الزرع والثمار المناسبة، المقدرة بميزان معلوم ومقدار معين، فكل نبات وُزِنَتْ عناصره وقُدِّرَتْ بما يحتاجه، ووفق الحكمة والمصلحة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿8﴾﴾ (الرعد من الآية: 8)، فكل ما في الوجود- ومنه هذه المشاهد من الأرض الممدودة والجبال الراسخة والنبت الموزون...- لهو آية في الروعة والجمال، وهو آية على كمال خلق الخالق.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾، أي وجعلنا لكم في الأرض ما تعيشون به من المطاعم، والمشارب، والملابس، وغيرها مما تقتضيه ضرورات الحياة التي تحيونها.

وجملة ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿20﴾﴾ معطوفة على ﴿مَعَايِشَ﴾، والمراد بمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ: ما يشمل الأطفال، والعجزة، والأنعام، وغير ذلك من مخلوقات الله التي تحتاج إلى العون والمساعدة.

أي: وجعلنا لكم في الأرض ما تعيشون به أو ما تتوصلون به إلى ذلك من المكاسب والتجارات، وجعلنا لكم فيها - أيضاً -

من لستم له برازقين من العيال، والخدم، والدواب... وإنما الرازق لهم هو الله تعالى رب العالمين، إذ ما من دابة في الأرض إلا على الله وحده رزقها.

ثم بين سبحانه بعد ذلك أن كل شيء في هذا الكون خاضع لإرادته وقدرته وتصرفه، فقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿21﴾﴾، والمعنى: وما من شيء في هذا الكون من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به متى أردنا، فخزائننا مليئة بما تحبون...

قال جمهور المفسرين: إن المراد بالخزائن المطر، لأنه سبب الأرزاق والمعايش، ولأن به نبات كل شيء، وقيل: الخزائن المفاتيح، أي ما من شيء إلا عندنا في السماء مفاتيحه، ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا، وعلى حسب حاجة الخلق إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ (الشورى من الآية:27).

ثم أوضح الله تعالى أسباب حصول النعم فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ ويكون ذلك على ضروب:

1-أن يرسل الرياح الخيرة تحمل السحب المشبعة بالرطوبة لإنزال الأمطار كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (الأعراف من الآية:57).

2 - أن يرسل الرياح ناقلة لقاح الأزهار الذكور إلى الأزهار الإناث لتُخرِج الثمر والفواكه للناس.

3 - أن يرسل الرياح لتزيل عن الأشجار ما علق بها من الغبار لينفذ الغذاء إلى مسامِّها، قال ابن عباس: الرياح لواقح للشجر وللسحاب.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أي فأنزلنا من السحاب مطرا يمكنكم أن تشربوا منه، وأسقينا به زرعكم ومواشيكم،وفي ذلك استقامة أمور معايشكم،وتدبير شئون حياتكم، كما قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء من الآية:30). وقال جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿10﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿11﴾﴾ (النحل: 10 - 11).

وقوله عز وجل : ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿22﴾﴾، أي ليست خزائنه عندكم بل خزائنه عندنا، وأنتم لستم بقادرين على خزنه وحفظه في الآبار والعيون وغيرها، وإنما نحن القادرون على ذلك، ولو شاء تعالى لذهب به، ولكن من رحمته أبقاه لكم لشرب الناس والزروع والثمار والحيوان، ومثله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون18).

وبعد أن ذكر الله نظم المعيشة في هذه الحياة ذكر إحياء الإنسان وإماتته فقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿23﴾﴾ أي وإنا وحدنا القادرون على إيجاد الحياة في المخلوقات، والقادرون على سلبها عنها، ونحن الوارثون لهذا الكون بعد فنائه، الباقون بعد زواله. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿43﴾﴾ (ق من الآية:43).

أقوم تعلماتي:

1 - أبين المراد بالسماء والبروج في الآية الكريمة.

2 - أذكر بعض الصور الجمالية التي يجدها «الناظر» إلى السماء.

3 - أذكر أهم الدلائل الأرضية التي أشارت إليها الآيات.

4 - أبين أهم الأدوار التي تقوم بها الرياح.

5 - أبرز بعض مظاهر الوحدة والتناسق بين عناصر الكون، وأمثل لها.

الدرس 5

درس نظري

التذكير بنعم الله ومصنوعاته وتسخيرها للإنسان

أهداف الدرس

- تعرف موقف المشركين من خلق السماوات والأرض.
- إدراك بعض مظاهر قدرة الله ونعمه في الأرض.
- الوصول إلى الربط بين إحياء الأرض وبين البعث.
- تأمل تيسير الله تعالى تنقل الإنسان في البر والبحر.

مدخل تمهيدي :

تعريف بسورة الزخرف:

تسميتها: سُميت «سورة الزخرف» لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل، وبريقها الخادع بالزخرف اللامع الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، ولهذا يعطيها الله للأبرار والفجار، وينالها الأخيار والأشرار، أما الآخرة فلا يمنحها الله إلا لعباده المتقين، فالدنيا دار الفناء، والآخرة دار البقاء. وهي سورة مكية ما عدا الآية 54 فهي مدنية، وهي من الحواميم، أي بدأت ب (حم).

ما اشتملت عليه: تناولت السورة أسس العقيدة الإسلامية وأصول الإيمان كشأن سائر السور المكية، حيث عرضت لإثبات مصدر الوحي وصدق هذا القرآن، وتحدثت عن بعض دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، ثم تناولت ما كان عليه المجتمع الجاهلي من الخرافات والوثنيات ككراهتهم للبنات، وزعمهم أن الملائكة بنات الله... وتحدثت السورة أيضا عن دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم انتقلت إلى تفنيد ما أثاره المشركون حول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرت قصة موسى وفرعون، وختمت ببيان بعض أحوال الآخرة وأهوالها.

وفي الآيات التي تؤطر الدرس تذكير للمشركين بأنهم يقرون بوجود الخالق، وتنبيه لهم ولغيرهم إلى نعمه وقدرته سبحانه وتعالى، وتعليم العباد كيفية ذكر الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم، فكيف كان إقرار المشركين؟ وما النعم والمصنوعات الواردة في الآيات؟ وما نوع الذكر الذي أمر الله به؟ ومتى يكون؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿9﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿10﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿11﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿12﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿13﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿14﴾ ﴾

سورة الزخرف: 9-14

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **مهَاداً:** جمع مهد، الفراش المذلل الذي يستقر عليه من جلس فوقه.
- **سُبُــلاً:** طُرقاً.

- **بِقَـــدَر:** بمقدار تقتضيه الحكمة والمصلحة.
- **فَأَنْشَـرْنَا:** فَأَحْيَيْنَا.
- **بَلْدَةً مَيْتًا:** خالية من النبات.
- **الْأَزْوَاجَ:** الأصناف المختلفة من الذكر والأنثى، ومن غير ذلك من أنواع المخلوقات التي لا تحصى.
- **مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ:** لسنا قادرين على مقابلة نعمته بنعمة مثلها.
- **مُنْقَلِبُونَ:** لراجعون.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أبين لمن ينسب المشركون خلق السماوات والأرض.
- أستخرج الصفات التي خلق الله تعالى عليها الأرض.
- أبين وجه الشبه بين إحياء الأرض والبعث.
- أستخرج بعض النعم التي أنعم الله بها على عباده.

التفسير والبيان :

أولا: اعتراف المشركين بأن الخالق هو الله:

بعد أن ذكر الله تعالى بأن المشركين منهمكون في كفرهم وإعراضهم عما جاء به القرآن في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾(الزخرف من الآية:7-8)، ساق سبحانه بعد ذلك نماذج من تناقض هؤلاء المشركين مع أنفسهم ومن مواقفهم الجحودية من نعم الله تعالى عليهم فقال تعالى:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾، أي ولئن سألت أيها الرسول المشركين من قومك من خلق السماوات والأرض؟ لأجابوك: خلقهن العزيز العليم، فيعترفون بأنه لا خالق لهما سواه، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويبدو أن هاتين الصفتين: ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ ليستا من أقوالهم، فهم كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق لهذا الكون، ولكنهم لم يكونوا يعرفون الله بصفاته التي جاء بها القرآن الكريم. ولذا قال بعض أهل العلم: الذي يظهر أن هذا الكلام مجزأ، فبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى، فالذي هو من قولهم ﴿خَلَقَهُنَّ﴾، وما بعده من قول الله عز وجل، وأصل الكلام أنهم قالوا: خلقهن الله، ويدل عليه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان من الآية:25)، ثم لما قالوا: خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهاتين الصفتين.

ومعنى ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ أن الله عزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، عليم بالسماوات والأرض وما فيهن، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

ثانيا: نعم الله المسخرة للإنسان:

أظهر الله فضله على المشركين وعلى سائر عباده، ودل على نفسه بذكر مصنوعاته خاصة منها ما يسهل العيش على هذه الأرض، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾، أي أنه سبحانه جعل لكم الأرض ممهدة تطؤوها بأقدامكم وتمشون عليها، وأوجد فيها الطرق والمسالك بين الجبال والأودية لتصلوا إلى مقاصدكم ومنافعكم

وتنتقلوا إلى أرجاء البلاد لمعاشكم ومتاجركم وابتغاء رزقكم، وتستدلون بها كذلك على قدرة الله تعالى وتعرفون نعمه عليكم، التي منها أيضا: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿11﴾﴾، أي وهو الذي ينزل من السماء ماء بقدر الحاجة، وحسبما تقتضيه المصلحة للزرع والثمار والشرب، فلا يجعله كثيرا حتى لا يكون عذابا كالطوفان الذي أغرق قوم نوح، ولا قليلا لا يكفي النبات والزرع لئلا تهلكوا جميعا، فَيُحْيِي بذلك الماء البلاد الميتة القفرة التي لا نبات فيها، وكما يحيي الأرض بعد موتها بالماء كذلك يُحْيِيكُم ويُخْرِجُكُم من قبوركم أحياء. ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿18﴾﴾ (المؤمنون من الآية:18)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿21﴾﴾ (الحجر:21).

ومن النعم أيضا قوله: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي وهو الذي خلق سائر الأصناف مما تنبت الأرض ومن الحيوان، فكل الأحياء أزواج، حتى الخلية الواحدة الأولى تحمل خصائص التذكير والتأنيث كما تشير البحوث الطبيعية، بل ربما كانت الزوجية هي قاعدة الكون كله.

ثم ذكر سبحانه بنعم أخرى ذات أهمية بالغة على جميع الكائنات، وبالأخص منها الإنسان، فهو سبحانه خالق وسيلة الركوب من الفلك والأنعام فقال: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿12﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾، أي وهو الذي جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث تقصدون لمعايشكم ومتاجركم، ومن الأنعام ما تركبونه في البر كالخيل والبغال والحمير، ومما يستجد من وسائل المواصلات برا وبحرا، كما ذكر بذلك في آيات أخرى منها قوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿8﴾﴾ (النحل: من الآية:8) ؛ ثم وجه سبحانه عباده إلى واجبهم عند التمتع بهذه النعم، ألا وهو ذكره وتعظيمه ودعاؤه فقال: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿13﴾﴾، أي بعد استوائكم على ظهور ما سخره لكم من المراكب أنعاما أو سفنا أو غيرها، تذكَّروا نعمة ربكم الذي أنعم بها عليكم، فتعظموه وتمجدوه وتقولوا تنزيها له عما يصفه به المشركون «سبحان الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه وما كنا قادرين ولا مطيقين ذلك، لولا تسخيره وتذليله. فالأنعام مع قوتها ذللها الله للإنسان ينتفع بها حيث شاء وكيفما أراد» وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿14﴾﴾ يعني: إنا لصائرون إلى ربنا بعد مماتنا، فيجازي كل نفس بما عملت، فاذكروه في حلكم وترحالكم.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد ذكرت أنواعا متعددة من مظاهر قدرة الله تعالى، ومن رحمته بعباده، لكي يخلصوا له العبادة والطاعة.

أقوم تعلماتي:

1 - أبين موقف المشركين من خلق السماوات والأرض.

2 - أحدد الخطيئة التي يؤاخذ بها المشركون.

3 - أشرح كيف هيأ الله تعالى الأرض، وأبين دور المسالك فيها.

4 - أحدد وجه الشبه بين إحياء الأرض بالماء والبعث للحساب.

5 - أستخلص واجب المؤمن تجاه ما أنعم الله به عليه من أنواع وسائل النقل.

الدرس 6

درس نظري

التثبت من الأخبار

أهداف الدرس

- إدراك ضرورة التثبت من صحة النبإ قبل العمل بمقتضاه.
- العلم بأن الرسول ﷺ أعظم قدوة في التثبت.
- التأكد من أن الإيمان وقاية من الكفر والعصيان.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة الحجرات:

تسميتها: سميت سورة الحجرات لأن الله تعالى ذكر فيها بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن، وهي سورة مدنية.

ما اشتملت عليه: تتضمن السورة حقائق التربية الخالدة وأسس المدنية الفاضلة حتى سماها بعض المفسرين «سورة الأخلاق». ابتدأت بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا يقدموا على شيء في حضرة رسول اله صلى الله عليه وسلم حتى يستشيروه ويسترشدوا بتوجيهاته الحكيمة، ثم انتقلت إلى أدب آخر وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم احتراما لمقامه السامي؛ ثم انتقلت من الأدب الخاص إلى الأدب العام لتقرير دعائم المجتمع الفاضل، فأمرت المؤمنين بالتثبت من الأخبار وعدم السماع للإشاعات، ودعت إلى الإصلاح بين المتخاصمين، ودفع عدوان الباغين، وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتجسس، والظن السوء بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق والفضائل الاجتماعية، وختمت بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا الإيمان كلمة تقال باللسان، وبينت حقيقة الإيمان وحقيقة الإسلام وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي يجمع بين الإيمان والإخلاص، والجهاد والعمل الصالح.

والآيات التي تؤطر الدرس تدعو إلى عدم تصديق الشائعات والأخبار الكاذبة منعا للفتن، وللإيمان دور في النفور من تصديق الأنباء بدون دليل، فما العمل عند سماع أي نبإ؟ وكيف نقتدي بالرسول ﷺ في هذا الموضوع؟ وما دور الإيمان في تجنب هذا السلوك وغيره؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿6﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿7﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿8﴾ ﴾

سورة: الحجرات:6-8

سبب النزول

ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عُقْبة. أخرج ابن جرير وأحمد وابن حاتم والطبراني وابن أبي الدنيا وابن مردويه بسند جيد عن ابن عباس: أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني الْمُصْطَلِق مُصَدِّقاً، وكان بينهما إحنة، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم خافهم، فرجع فقال: إن القوم همّوا بقتلي، ومنعوا صدقاتهم، فهمَّ النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم، فبينا هم في ذلك إذ قَدِم وفدهم، وقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخرجنا نكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة، يقاتل مقاتلتكم، ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كَتِف علي رضي الله عنه، فقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد، فوجدهم منادين بالصلاة، متهجدين، فسلموا إليه الصدقات، فرجع.

ولا خلاف في أن الشخص الذي جاء بالنبإ هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط. والآية وإن وردت لسبب خاص فهي عامة لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **فَاسِقٌ:** خارج عن حدود الشرع.
- **بِنَبَإٍ:** بخبر مهم، ولا يقال للخبر «نبأ»إلا إذا كان ذا فائدة عظيمة.
- **فَتَبَيَّنُوا:** اطلبوا بيان الحقيقة، وتأكدوا من صحة الخبر.
- **بِجَهَالَةٍ:** أي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم.
- **نَادِمِينَ:** الندم: الغم يلحق الإنسان لأمور وقعت منه، ثم صار يتمنى بعد فوات الأوان عدم وقوعها.
- **لَعَنَتُّمْ:** العنت: الوقوع في الأمر الشاق المؤلم.
- **الرَّاشِدُونَ:** الرُّشدُ: الاستقامة على طريق الحق، مع الثبات عليه، والتمسك به في كل الأحوال.

أحدد المستفاد من الآيات :

- أستخرج ما يجب فعله عند تلقي أي نبإ.
- أبين ماذا يترتب عن تصديق الشائعات والخبر الكاذب؟
- أحدد العلاقة بين الإيمان وبين النفور من الكفر والفسوق والعصيان.

التفسير والبيان :

أولا: وجوب التثبت من الأنباء والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك:

نبه الله تعالى الذين آمنوا إلى وجوب التثبت من صحة الأخبار، وحذرهم من الاعتماد على مجرد الأقوال منعا من إلقاء الفتنة بين أفراد المؤمنين وجماعاتهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿6﴾ ﴾، أي أيها المؤمنون إن أتاكم الفاسق بأي نبإ فيه إضرار بأحد فتوقفوا فيه، وتبينوا ولا تتعجلوا بالحكم حتى تتبصروا في الأمر والخبر لتتضح الحقيقة وتظهر، خشية أن تصيبوا قوما بالأذى، وتلحقوا بهم ضررا لا يستحقونه، وأنتم تجهلون حالهم، فتندموا على ما صدر منكم وتتمنوا أن لو لم تكونوا فعلتم ذلك.

والتعبير «بإن» المفيدة للشك، للإشعار بأن الغالب في المؤمن أن يكون يقظا، يعرف مداخل الأمور، وما يترتب عليها من نتائج، ويحكِّم عقله فيما يسمع من أنباء، فلا يصدق خبر الفاسق إلا بعد التثبت من صحته.

فالآية الكريمة ترشد المؤمنين في كل زمان ومكان إلى كيفية استقبال الأخبار استقبالا سليما، وإلى كيفية التصرف معها

تصرفا حكيما، فتأمرهم بضرورة التثبت من صحة مصدرها، حتى لا يصاب قوم بما يؤذيهم بسبب تصديق الفاسق في خبره، بدون تأكد أو تحقق من صحة ما قاله... وبهذا التحقق من صحة الأخبار، يعيش المجتمع الإسلامي في أمان واطمئنان، وبُعد عن الندم والتحسر على ما صدر منه من أحكام.

ثم وعظ الله المؤمنين بعظة هم أحرى الناس باتباعها فقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾، أي واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظموه ووقروه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(الأحزاب من الآية:6)، فلو سارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر، واستجاب لكل ما أشرتم به عليه من الآراء لوقعتم في العنت والمشقة، ولنزل بكم ما قد يؤدى إلى هلاككم وإتلاف أموركم، ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل اتضاح الأمور. وإنما قال سبحانه: ﴿يُطِيعُكُمْ﴾ بلفظ الاستقبال للدلالة على استمراره في التثبت والتحقق مما ينقل إليه من الأخبار، بدليل قول الله تعالى: ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾، وفيه دليل كذلك على مراعاة لجانب المؤمنين، حيث لم تنسب جميع آرائهم إلى الخطأ، وفيه إشارة إلى تصويب رأي بعضهم.

ثانيا: تحبيب الإيمان إلى قلوب المؤمنين وتنفيرهم من الكفر:

استدرك سبحانه ما سلف لبيان براءة بعض المؤمنين من عدم التريث فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، أي: ولكن جمعا منكم براء مما أنتم عليه من تصديق الكاذب وتزيين الإيقاع بالبريء، وإرادة أن يتبع الحق أهواءهم؛ فجعل الإيمان أحب الأشياء إلى قلوبهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، وجعل كلا من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندهم.

وقد ذكر الله الإيمان الذي يتضمن التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وقابله بأمور ثلاثة وهي:

- الكفر وهو جحود الخالق وتكذيب الرسل، المقابل لتحبيب الإيمان وتزيينه في القلوب .
- والفسوق وهو الخروج عن حدود الدين، المقابل للإقرار باللسان.
- والعصيان وهو المخالفة وعدم الطاعة، المقابل للعمل بالأركان.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝7﴾، أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة هم الثابتون على دينهم، المهتدون إلى طريق الرشد والصواب، إذ الرشد هو الاستقامة على طريق الحق، مع الثبات عليه، والتصلب فيه، والتمسك به في كل الأحوال.

وقوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝8﴾، تعليل لما مَنَّ به سبحانه عليهم من تزيين الإيمان في قلوبهم، أي: فعل ما فعل من تحبيب الإيمان إليكم، ومن تبغيض الكفر إلى قلوبكم، لأجل فضله عليكم، ورحمته بكم، وإنعامه عليكم بالنعم التي لا تحصى. وَاللَّهُ تعالى عَلِيمٌ بكل شيء، حَكِيمٌ في كل أفعاله وأقواله وتصرفاته.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد رسمت للمؤمنين أحكم الطرق في تلقى الأخبار، وأرشدتهم إلى مظاهر فضله عليهم، لكي يستمروا على شكرهم له وطاعتهم لرسله.

أقوم تعلماتي:

1 - أبين قيمة الخبر قبل التثبت منه.

2 - أذكر كيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع أخبار الصحابة وآرائهم؟

3 - أشرح كيف يؤثر الإيمان في اتخاذ المواقف.

4 - أستخلص الوصف الذي وصف الله به هذه الفئة المؤمنة.

الدرس 7

درس نظري

الإصلاح بين الطائفتين المتنازعتين

أهداف الدرس

- إدراك حكم الإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين.
- تعرف حكم قتال الطائفة الباغية.
- استشعار روح الأخوة التي ينشرها الإسلام بين المؤمنين.

مدخل تمهيدي:

بعد أن حذر الله تعالى المؤمنين من النبأ الصادر من الفاسق، بين هنا ما قد يترتب على خبره من النزاع بين فئتين، وقد يؤول الأمر إلى الاقتتال، فطلب من المؤمنين أن يصلحوا بينهما، فإن بغت إحدى الفئتين على الأخرى، فتقاتل الباغية الظالمة، ثم علل الأمر بالصلح بوجود رباط الأخوة بين الفريقين، ثم أمر الوسطاء والأطراف المتنازعة بتقوى الله وطاعة أمره. فما السبب الذي يمكن أن يؤدي إلى النزاع بين المؤمنين؟ وكيف يمكن إحلال السلام بينهما؟ وما حكم الفئة الباغية الخارجة عن الحق؟ ولماذا سن الإسلام هذه السنة؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿10﴾﴾

سورة الحجرات:9-10

سبب النزول

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم وابن جرير وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه قيل للرسول ﷺ: يا نبي الله! لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول، فانطلق إليه على حمار، وانطلق المسلمون يمشون... فبال الحمار، فقال: إليك عني فو الله لقد آذاني نتن حمارك، فقال عبد الله بن رواحة: والله إن بول حماره أطيب ريحا منك! فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فوقع بينهم حرب بالجريد والأيدي والنعال، فأنزل الله فيهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **طَائِفَتَانِ:** تثنية طائفة: وهي الجماعة من الناس.
- **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا:** ببذل النصح، وإزالة أسباب الخلاف.
- **بَغَتْ:** اعتدت وتجاوزت الحد.
- **تَفِيءَ:** ترجع.
- **أَمْرِ اللَّهِ:** الحق.
- **أَقْسِطُوا:** اعدلوا، من الإقساط: إزالة القَسْطِ، وهو الجور.

أحدد المستفاد من الآيتين :

- أستخرج الأوامر الواردة في النص.
- أستخلص من النص شرط تحقق الصلح.

التفسير والبيان :

أولا: وجوب الإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين:

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله والإرشاد، وإزالة الشبه وأسباب الخلاف، والتعبير بـ «إن» للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع، فإنما هو نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب.

وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان، خلافا للمعتزلة والخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ » كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن. فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة.

ثانيا: وجوب قتل البغاة:

قوله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى حكم الله وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، يفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الرجوع إلى الحق، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان مسرفا في الزيادة.

والفئة الباغية تعني في اصطلاح الفقهاء: «فرقة خالفت الإمام بتأويل سائغ في الظاهر، باطل بطلانا مطلقا بحسب الظن لا القطع».

ففي هذه الآية دليل على وجوب قتال الطائفة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين، وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين، واحتج بقوله عليه السلام: « قِتَالُ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ» أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب قتال المسلم. ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد أمر بالكفر - تعالى الله عن ذلك! -. وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالإسلام ومنع الزكاة، وأمر ألا يتبع مولٍّ، ولا يجهز على جريح، ولم يحل أموالهم، وقال الطبري: «لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل، لما أقيم حدٌّ، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرّم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم...».

وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾،أي إن رجعت الفئة الباغية عن بغيها بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرَّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرَ

مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » أخرجه النسائي في كتاب آداب القضاة، باب فضل الحاكم العادل في حكمه.

ثالثا: الأخوة الإسلامية بين المؤمنين:

بعد أن أمر الله جل ثناؤه في الآية السابقة بالتزام العدل في الحكم بين الفئتين المقتتلتين أمر هنا بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿10﴾ ﴾، أي تتميما للإرشاد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين، أمر الله بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما وليكن رائدكم في هذا الإصلاح، وفي كل أموركم تقوى الله وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم والإسلام سوى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى التي هي التزام الأوامر واجتناب النواهي.

وكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ للحصر، تفيد أن لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميا أو مستأمنا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقا إن كان خصمه حربيا. كما قال رَسُولُ اللَّه ﷺ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه.

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾: «في هذه الآية والتي قبلها دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، وقال الحارث الأعور: سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو القدوة، عن قتال أهل البغي من أهل الجَمَلِ وصُفِّين: أمُشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فرُّوا، فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل له: فما حالهم؟ قال: إخوانُنا بَغَوْا علينا» .

أقوم تعلماتي:

1 - أبين حكم الشرع في الاقتتال بين فئتين من المسلمين.

2 - أشرح دلالة استعمال «إِنْ» في الآية.

3 - أستخرج من الآيتين ما يدل على أن البغي لا يخرج من الإيمان.

4 - أذكر ما ينبغي على المسلمين فعله بعد رجوع الطائفة الباغية إلى الحق.

5 - أستحضر حديثا يدل على فضل التآخي والتآلف بين المسلمين.

6 - أبدي رأيي في جواز نفي صفة الإيمان عن زمرة من المسلمين من الفئة الباغية، وأعلل جوابي.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- وجوب الإصلاح بين المؤمنين عند نشوب الاقتتال بينهم.
- وجوب قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى الحق، وهو فرض كفاية.
- واجب الإمام قبل قتال الفئة الباغية، هو الدعوة إلى الإصلاح والطاعة ونبذ العنف، والدخول تحت لواء الجماعة.
- البغاة ليسوا كفارا ولا مرتدين بل هم مؤمنون : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

الدرس 8

درس نظري

تجنب السخرية واللمز

أهداف الدرس

- الاطلاع على حقيقة كل من السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ومظاهرهما.
- تعرف الحكم الشرعي لكل منها.
- تعرف مستثنيات التنابز بالألقاب.

مدخل تمهيدي:

بعد أن ذكر الله تعالى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى، ومع النبي ﷺ، ومع من يخالف الله ورسوله، وهو الفاسق، بين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع أخيه المؤمن، فذكر أنه لا ينبغي أن يسخر منه، ولا أن يعيبه بالهمز واللمز، ولا أن يلقبه باللقب الذي يتأذى منه. فما معنى السخرية واللمز والتنابز بالألقاب؟ وما مظاهرها ومستثنياتها؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿11﴾ ﴾

سورة الحجرات: آية -11

سبب النزول

1 - قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾: قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقر(ثقل في السمع)، فإذا سبقوه إلى مجلس الرسول ﷺ أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ، أخذ أصحابه مجالسهم منه، ولما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له، حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبيْنه رجل، فقال له تفسح، فقال له الرجل: وجدت مجلسا فاجلس! فجلس ثابت من خلفه مغضبا، ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة!، يعيره بأمه في الجاهلية، فاستحيا فنزلت الآية.

2 - قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾، قال ابن عباس: إن صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين أتت رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله! إن النساء يعيرنني ويقلن لي: يا يهودية بنت يهوديين!، فقال رسول الله ﷺ : هلا قلت : «إن أبي هارون وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد»، فنزلت الآية.

3 - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، عن أبي جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها، فعسى أن يكرهه، فنزلت الآية.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **يَسْخَرْ:** من السخرية، وهى احتقار الشخص لغيره بالقول أو بالفعل، يقال: سخر فلان من فلان، إذا استهزأ به، وجعله مثار الضحك.

- **تَلْمِــزُوا:** يقال: لمز فلان فلانا، إذا عابه وانتقصه.
- **تَنَابَــزُوا:** التنابز: التعاير والتداعي بالألقاب المكروهة، يقال: نبزه ينبزه: إذا ناداه بلقب يكرهه.
- **بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ:** أي بئس أن يسمى الإنسان فاسقا بعد الإيمان.

أحدد المستفاد من الآية :

- أستخلص سبب النهي عن السخرية.
- أذكر منهيات أخرى محرمة ذكرتها الآية.
- أبين ما توعد الله به من لم ينته عن تلك المحرمات.

التفسير والبيان :

أدب الله تعالى المؤمنين بآداب عالية وأخلاق فاضلة، ونهاهم عما يخل بها أو يؤثر فيها، أو ينحو بهم نحو التعالي وازدراء بعضهم البعض، ومن ضمن ما نهى عنه تعالى في القرآن ما ورد في هذه السورة الفاضلة التي تسمى سورة الأخلاق: السخرية، واللَّمْزُ، والتنابُزُ بالألقاب.

أولا: النهي عن السخرية:

قال سبحانه في محكم كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾، أي يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا يهزأ رجال من آخرين، فربما كان المسخور بهم عند الله تعالى خيرا من الساخرين بهم، أو قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له، فهذا حرام قطعا، ذكر فيه علة التحريم أو النهي، كما قال بعضهم:

لا تُهِــنِ الفقيــر علَّــك أن تركع يوما، والدهر قد رفعه

فقوله سبحانه: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تعليل للنهي، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: « رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ » كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء.

وبالرغم من أن النساء يدخلن عادة في الخطاب التشريعي مع الرجال، فقد أفردهن بالنهي هنا دفعا لتوهم عدم شمول النهي لهن، وأكد معنى النهي للنساء أيضا، وذلك بالأسلوب نفسه، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء بصيغة الجمع، لأن أغلب السخرية تكون في مجامع الناس، كأنه قال: ولا يسخر نساء من نساء، فلعل المسخور منهن يكن خيرا من الساخرات.

ثانيا: النهي عن اللمز والهمز:

اللمز في اللغة: الوخز والطعن، ويراد به في الآية: العيب، فكأن من يعيب الناس إنما يوجه إليهم وخزة بسيف، أو طعنة برمح، فربما كانت وخزة اللسان أشد وأعظم، كما قال الشاعر:

جراحات السِّنان لها التئام ولا يَلْتَــامُ مــا جَرَحَ اللِّســان

والهمَّاز اللَّمَّاز مذموم ملعون، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة:1)، واللمز يكون باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان، وعن الضحاك أن: « اللمز: العيب في المشهد، والهمز العيب في المغيب».

والفرق بين السخرية واللمز: أن السخرية احتقار الشخص وذكر عيوبه ونقائصه على وجه يضحك منه، واللمز: ذكر معايبه، سواء أكان على وجه يضحك منه أم لا، وعلى هذا يكون اللمز أعم من السخرية.

فالآية تنهى المؤمنين عن أن يعيب بعضهم بعضا، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء من الآية:29)، أي: لا يقتل بعضكم بعضا، فقد جعل الله لمز بعض المؤمنين لمزا للنفس، لأن المؤمنين نفس واحدة، فمن عاب غيره كأنما عاب نفسه، لأنه جزء منه في تصور الإسلام، والأولى بالإنسان العاقل أن يحاسب نفسه ويصلح عيوبها. وقد قيل: «من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره».

وقال الشاعر:

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

ثالثا :النهي عن التنابز بالألقاب:

معنى التنابز بالألقاب: التداعي بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾، أي لا يلقب بعضكم بعضا لقب سوء يغيظه، كأن يقول المسلم لأخيه المسلم: يا فاسق! يا منافق! أو يقول لمن أسلم: يا يهودي! أو يا نصراني! أو يقول لأي إنسان: يا كلب! يا حمار! يا خنزير!... ويُعَزَّرُ المرء القائل ذلك بعقوبة تعزيرية، وقد نص العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء أكان صفة له أم لأبيه أم لأمه، أم لكل من ينتسب إليه.

والتنابز يقتضي المشاركة بين الاثنين، وعبر بذلك لأن كل واحد سرعان ما يقابل الآخر بلقب ما، فالنَّبْزُ يُفْضِ في الحال إلى التنابز، بعكس اللَّمز يكون غالبا من جانب، ويحتاج للبحث عن عيب ما يرد به.

ويستثنى من ذلك: أن يشتهر إنسان بلقب لا يسوؤه فيجوز إطلاقه عليه، كالأعمش والأعرج من رواة الحديث، أما الألقاب المحمودة فلا تحرم ولا تكره، كما قيل لأبي بكر: «عتيق»، ولعمر «الفاروق»، ولعثمان «ذو النورين»، ولعلي «أبو تراب» ، ولخالد «سيف الله»، ولعمرو بن العاص «داهية الإسلام».

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ تعليل للنهي عن هذه الرذائل، والمراد بالاسم: ما سبق ذكره من السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، والمخصوص بالذم محذوف، أي: بئس الفعل فعلكم أن تذكروا إخوانكم في العقيدة بما يكرهونه وبما يخرجهم عن صفات المؤمنين الصادقين، بعد أن هداهم الله تعالى وهداكم إلى الإِيمان.

وعلى هذا فالمراد من الآية نهي المؤمنين أن ينسبوا إخوانهم في الدين إلى الفسوق بعد اتصافهم بالإِيمان. وبئس الوصف وصفهم بذلك، أي: بالفسق بعد الإِيمان. وذلك تغليظ وتنفير شديد، حيث جعل التنابز فسقا.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾، أي: ومن لم يتب عن ارتكاب هذه الرذائل، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، حيث وضعوا العصيان موضع الطاعة، والفسوق في موضع الإِيمان.

أقوم تعلماتي:

1 - أتعرف معنى السخرية شرعا.

2 - أستدل ببعض ما أحفظه من النصوص المنفرة من السخرية.

3 - أبين سبب عطف النساء في الآية على الرجال رغم دخولهن معهم في الخطاب التشريعي.

4 - أعرف اللمز والهمز اصطلاحا.

5 - أبين بم يكون كل من الهمز واللمز.

6 - أحدد الفرق بين السخرية واللمز.

الدرس 9

درس نظري

اجتناب الظن والغيبة

أهداف الدرس

- تعرف حكم كل من الظن والتجسس والغيبة.
- الاطلاع على بعض مظاهرها.
- إدراك المستثنيات التي لا تندرج تحتها.

مدخل تمهيدي :

بعد أن نهى الله عز وجل عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وأرشد المؤمنين إلى اتقاء هذه المنهيات، وأمرهم بالتوبة عنها، وحذرهم من الاستمرار والإصرار عليها، ذكر أصنافا أخرى من المحرمات التي تثير الشقاق والنزاع بين المؤمنين، وتهدم الأخوة بينهم، فجاء النهي في هذه الآية عن سوء الظن بأهل الخير، وعن التجسس، وعن الغيبة، حتى تبقى للمسلم حرمته وكرامته، وتتوثق روابط الأخوة بين أفراد الجماعة الإسلامية... فما الظن المنهي عنه في الآية؟ وما المقصود بالتجسس؟ ولماذا نُهيَ عنه؟ وما الغيبة؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عزوجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾ ﴾

سورة الحجرات- الآية 12

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **اجْتَنِبُواْ:** ابتعدوا، يقال: اجتنب فلان فلانا إذا ابتعد عنه.
- **الظَّـنِّ:** حد وسط بين العلم(اليقين)، والشك أو الوهم، وهو ما يطرأ للنفس بسبب شبهة أو أمارة قوية أو ضعيفة.
- **إِثْـمٌ:** ذنب يستحق فاعله العقوبة عليه. يقال: أثم فلان يأثم إثما فهو آثم إذا ارتكب ذنبا.
- **وَلاَ تَجَسَّسُواْ:** التجسس مأخوذ من الجَسِّ، وهو البحث عما خفي من أمور الناس.
- **وَلاَ يَغْتَب:** من الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، وإن كان العيب فيه.

أحدد المستفاد من الآية :

- أستخرج بعض المنهيات التي يجب الابتعاد عنها.
- أحدد سبيل التكفير عن هذه المنهيات.

التفسير والبيان :

أولا: النهي عن ظن السوء بأهل الخير:

جاء الإسلام ليقيم مجتمعه على صفاء النفوس وتبادل الثقة، لا على الريبة والشكوك والتهم والظن، ولهذا جاءت هذه الآية الكريمة لتحرم ظن السوء بالآخرين، لأن حال المؤمنين محمولة على الصلاح، فما دامت دلائل الشر غير واضحة، فلا ينبغي أن نحكم اعتمادا

على الظن الذي يخطئ أكثر مما يصيب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، أي: يا من آمنتم بالله تعالى إيمانا حقا، ابتعدوا ابتعادا تاما عن الظنون السيئة بأهل الخير من المؤمنين، لأن هذه الظنون السيئة التي لا تستند إلى دليل أو أمارة صحيحة، إنما هي مجرد تهم، تؤدي إلى تولد الشكوك والمفاسد فيما بينكم...

ولا يحرم سوء الظن إلا ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة، أما من يجاهر بالفجور فلا يحرم سوء الظن به.

قال علماء المالكية: الظن في الآية هو التهمة، ومحل التحذير والنهي، إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك.

ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء، ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة.

ثم علل الله النهي بأن بعض الظن، وهو ظن السوء بأهل الخير والصلاح، أو ظن الشر بالمؤمن، ذنب موقع في الإثم لأن الله قد نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿12﴾﴾ (الفتح من الآية: 12)، وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن سوء الظن بالمؤمنين، منها ما أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. وقال ﷺ في حديث آخر: « مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا » أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

كما أرشد النبي ﷺ المؤمنين إذا عرض لهم في النفس ما يثير الشك والتهمة بناء على أمارة ظنية ألا يتحققوا وأن يحملوا ذلك على الظن لا على اليقين، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ ثَلَاثًا، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ » كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك.

وإبهام الكثير في قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ ليحتاط المؤمن في كل ظن، ويتبين من أي نوع هو، فبعض الظن واجب الاتباع، كحسن الظن بالله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ...» أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ويحذركم الله نفسه. وبعضه محظور كسوء الظن بالله وبأهل الصلاح والمسلمين مستوري الحال، ظاهري العدالة. وبعضه مندوب، كإحسان الظن بالمسلم، وإساءة الظن بمن هو ظاهر الفسق والفجور. وبعضه مباح، كالظن في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية العملية بالاجتهاد.

وللظن في هذا الإطار- أي التشريع- حالتان:

- الأولى: حالة الظن الذي يستند إلى وجه من وجوه الأدلة كالقياس وخبر الآحاد، فيجوز الحكم به، وأحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن.

- الثانية: أن يقع في النفس شيء لا دليل عليه، فلا يكون ذلك أولى من غيره، لأنه مجرد شك، والشك لا يبنى عليه الحكم، وهو المنهي عنه.

وقد أنكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن، كما أنكرت جواز العمل به، وادعاء هؤلاء مردود لا دليل عليه، فالله تبارك وتعالى لم ينه عن الظن كله، وإنما نهى عن بعضه.

ثانيا: النهي عن التجسس:

إن عدم الثقة في الآخرين يدفع إلى عمل قلبي باطني، وهو سوء الظن، وإلى عمل بدني ظاهري هو التجسس، والإسلام يقيم مجتمعه على نظافة الظاهر والباطن معا، ولهذا نهى الله تعالى عن التجسس فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وقرئت (وَلَا تَحَسَّسُوا) بالحاء. واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين:

فقيل: التجسس: البحث عما يكتم عنك، والتحسس: طلب الأخبار والبحث عنها.

وقيل: إن التجسس هو مجرد البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور، والتحسس ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

وقيل: إن التحسس طلب الخبر لنفسه، والتجسس طلب الخبر لغيره.

ومعنى الآية: خذوا ما ظهر من أحوال الناس، ولا تبحثوا عن بواطنهم أو أسرارهم، أو عوراتهم ومعايبهم، ففي سنن أبي داود عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ » فَقَالَ: أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا. أخرجه أبوداود في كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس.

وقال عبد الرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، إذ تبين لنا سراج في بيت، بابه مجافى على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط فقال لعمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شُرَّب، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم.

ثالثا: النهي عن الغِيبة:

الغِيبة هي ذكر الإنسان أخاه بما يكره، سواء أكان الذكر صراحة أم إشارة أو نحو ذلك، لما في ذلك من الأذى بالمغتاب، وإثارة الأحقاد والضغائن، وتفريق شمل الجماعات. والغِيبة تشمل كل ما يكرهه المغتاب، سواء في دينه أو دنياه، أو في خَلْقه أو خُلُقه، أو أهله أو ماله أو نسبه، أو غير ذلك ممّا يتعلق به، خلافا لما ذهب إليه البعض من أن الغِيبة لا تكون إلاَّ في الدِّين، وذهب آخرون إلى أنها لا تكون إلا في الخَلق والخُلُق والحسب. وهذا مردود بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في معنى الغِيبة على طريقته في التعليم بالسؤال والجواب: « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته، قال الحسن البصري: «الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله: الغيبة والإفك والبهتان: فأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه».

ولا خلاف بين العلماء في أن الغيبة من الكبائر، وأن على من اغتاب أحدا التوبة إلى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الاستحلال منه.

ثم ضرب سبحانه مثلا للغِيبة للتنفير والتحذير منها فقال: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾، أي أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته، فإذا كنتم لا تحبون ذلك بل تكرهونه لأن النفس تعافه، فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه في حياته. والاستفهام للتقرير، لأنه من الأمور المسلمة أن كل إنسان يكره أكل لحم أخيه حيا، فضلا عن أكله ميتا.

وقد شبهت الغيبة بأكل اللحم لما فيها من تمزيق الأعراض المشابه لأكل اللحم وتمزيقه، وقد زادت الآية فجعلت اللحم لحم أخٍ ميت تصويرا له بصورة بشعة تستقذرها النفوس جميعا، وقد ثبت في الصحيح من غير وجه أن النبي ﷺ قال حين خطب

في حجة الوداع: « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » أخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب تغليظ تحريم الدماء. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: « مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا » أخرجه ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله.

وللغيبة أسباب باعثة عليها تدفع الإنسان إلى ذكر غيره بما يكره منها:

أ - إشفاء الغيظ.

ب - موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء.

ج- أن يستشعر من إنسان تقبيح حاله عند الناس فيبادر إلى تقبيح حاله هو، والطعن فيه ليسقط أثر شهادته عندهم .

د- أن ينسب إليه شيء يسوؤه فيذكر الذي فعله ليتبرأ منه.

هـ- إرادة المباهاة والأفضلية بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره.

و- الحسد بأن يحسد من يثني الناس عليه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إلى ذلك إلا بالقدح فيه.

ز- اللعب والهزل، وذلك بذكر عيوب الغير بما يضحك الناس.

ح- السخرية والاستهزاء، وذلك بذكر نقائص الغير احتقارا لهم.

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بدعوة المؤمنين إلى التوبة والإنابة فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾، أي: واتقوا - أيها المؤمنون - بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما أمركم سبحانه باجتنابه، إن الله تعالى كثير القبول لتوبة عباده، الذين يتوبون من قريب، ويرجعون إلى طاعته رجوعا مصحوبا بالندم على ما فرط منهم من ذنوب، ومقرونا بالعزم على عدم العودة إلى تلك الذنوب لا في الحال ولا في الاستقبال. ومستوفيا لكل ما تستلزمه التوبة الصادقة من شروط. وهو- أيضا - واسع الرحمة لعباده المؤمنين، المستقيمين على أمره.

وبذلك نرى هذه الآية الكريمة قد نهت المسلمين عن رذائل، يؤدي تركها إلى سعادتهم ونجاحهم، وفتحت لهم باب التوبة لكي يقلع عنها من وقع فيها...

أقوم تعلماتي:

1 - أذكر العلامة المميزة للظنون الواجب اجتنابها.

2 - أبين سبب إبهام الكثير من الظن في قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾.

3 - أتعرف مفهوم التجسس، وأميزه عن التحسس.

4 - أتعرف مفهوم الغيبة شرعا على لسان الرسول ﷺ.

5 - أميز بين الغيبة والإفك والبهتان.

6 - أبين الأسباب الداعية إلى تعاطي هذا الفعل الشنيع.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- حرم الله سبحانه، بدلالة النهي في هذه الآية، ثلاثة أشياء: سوء الظن بأهل الخير والصلاح، والتجسس، والغيبة.

- الظن أنواع:

• ظن واجب: كحسن الظن بالله تعالى وبالمؤمنين، لقول النبي ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه : « لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ

الدرس 10

درس نظري

التعارف بين الشعوب

أهداف الدرس

- إدراك بعض مقتضيات وحدة الأصل البشري.
- تعرف المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس.
- استشعار أهمية التعاون بين البشر بغض النظر عن لغاتهم أو أجناسهم أو غير ذلك.

مدخل تمهيدي:

لما كان النداء في الآيات السابقة للمؤمنين لتأديبهم بالآداب العامة، من التثبت من خبر الفاسق، ووجوب الإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين وغير ذلك، جاء الخطاب في هذه الآية للناس كافة لتنبيههم إلى أنهم ينحدرون من أصل واحد، فما هي مقتضيات انحدارهم من هذا الأصل؟ وما المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

سورة الحجرات: الآية13

سبب النزول:

روي في سبب نزول الآية ما يلي:

روى أبو داود عن الزهري قال: أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند - مولى لهم- امرأة منهم، فقالوا: نزوج بناتنا موالينا؟ فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية.

وقال ابن عباس: لما كان يوم فتح مكة، أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذَّنَ، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا، وقال سهيل بن عمرو: إن يُرِدِ الله شيئا يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء. فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقرُّوا، فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة، فقال النبي ﷺ: من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: انظر في وجوه القوم، فنظر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى، فنزلت هذه الآية في ثابت.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **ذَكَرٍ وَأُنْثَى:** آدم وحواء، أو من أب وأم.
- **شُعُوبًا:** جمع شعب، وهم الجماعة من الناس التي لها وطن خاص، أو من أصل واحد، وهو أعم من القبائل.
- **قَبَائِل:** جمع قبيلة، وهي ما دون الشعب. وطبقات النسل عند العرب سبع وهي: الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم

البطن، ثم الفخذُ، ثم الفصيلة، ثم العشيرة.

- **لِتَعَارَفُوا:** ليعرف بعضكم بعضا.

أحدد المستفاد من الآية :

- أبين سبب تنوع الناس إلى شعوب وقبائل.
- أحدد المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس.

التفسير والبيان :

أولا: وحدة الأصل البشري:

بين الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ أن البشرية تعود كلها - رغم اختلاف أجناسها وألوانها وألسنها- إلى أصل واحد، هو آدم وحواء، ومن هذا الأصل انحدر الناس جميعا، وتشعبوا وانقسموا مع مرور الزمن إلى شعوب وقبائل ودول ينتسبون إليها ويعرفون بها، ثم أطلعهم الله تعالى على الغاية من هذا التقسيم والتشعيب، وهي التعاون والتعارف والوئام لا التناحر والخصام، فما يلاحظ على هذه الأمم والشعوب من فروق عرقية وجنسية ولغوية، لا يقتضي الشقاق والنزاع ما دام الجميع ينحدر من أصل واحد، وما دامت القيم التي تنبني عليها النزاعات من لون وجنس ولغة ووطن وغيرها، غير معتبرة في ميزان الله تعالى.

وقد ذهب قوم من الأوائل إلى أن الجنين إنما يكون من ماء الرجل وحده ويتربى في رحم الأم، ويستمد من الدم الذي يكون فيه، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿20﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿21﴾﴾(المرسلات: 21)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿8﴾﴾ (السجدة :8)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿37﴾﴾ (القيامة :37)؛ فدل على أن الخلق من ماء واحد .

والصحيح أن الخلق إنما يكون من ماء الرجل والمرأة لهذه الآية، فإنها نص لا يحتمل التأويل، وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿6﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿7﴾﴾ (الطارق: 6-7)، فالمراد منه أصلاب الرجال وترائب النساء؛ وأما ما احتجوا به فليس فيه أكثر من أن الله تعالى ذكر خلق الإنسان من الماء والسلالة والنطفة ولم يضفها إلى أحد الأبوين دون الآخر، فدل على أن الماء والسلالة لهما، والنطفة منهما بدلالة ما سبق، وعن ذلك يكون الشبه، وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وزكى ذلك ما توصلت إليه الكشوف الحديثة في علم الأجنة.

ثانيا: المقياس الصحيح للتفاضل بين الناس:

إن الإنسان لا يقوم في نظر الإسلام انطلاقا من حسبه ونسبه وإنما انطلاقا من إيمانه وعمله، ولذلك ذكر الله في هذه الآية سبب النهي عن التفاخر بالأنساب بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾﴾، وفي هذه الآية ما يدل على أن التقوى هي المراعاة عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ دون الحسب والنسب؛ وروى مالك في الموطأ عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ قَالَ: «كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ وَدِينُهُ حَسَبُهُ وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ...»كتاب الجهاد باب ما تكون فيه الشهادة.

والتقوى معناها: مراعاة حدود الله تعالى أمرا ونهيا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه. وفي صحيح مسلم من حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: « أَلاَ إِنَّ آلَ أَبِي يَعْنِي فُلاَنًا لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ » أخرجه في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين

ومقاطعة غيرهم. فهذا الحديث الشريف إلى جانب هذه الآية الكريمة يضعان أمام الناس المقياس الصحيح الذي يجب أن يحتكموا إليه في تقويم الرجال والنساء، ووضعهم في منازلهم الحقيقية، ويتلخص هذا المقياس في تقوى الله، فمن اتقى الله ووقف عند ما رسم له من حدود، كان هو المفضل عند الله، وكانت منزلته هي الرفيعة حقا، ومن لم يتق الله ولم يعمل بشريعته، ولم يخضع لتوجيهاته فمنزلته وضيعة عند الله، مهما أوتي من مال أو علم أو ذكاء أو جاه...

والآية تعتبر دليلا للإمام مالك على أن المعتبر في الزواج هو الكفاءة في الدِّينِ لقوله : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، تبنى سالما (وهو مولى لامرأة من الأنصار) وأنكحه هندا بنت أخيه الوليد ابن عتبة بن ربيعة، وأخت عبد الرحمن بن عوف كانت زوجة لبلال...،فدَلَّ ذلك على جواز نكاح الموالي غيرهم من الأسياد.

كما أن الآية تعتبر أصلا في تقرير مبدأين متلازمين وهما: مبدأ الإخاء والمساواة الإنسانيين، فأما مبدأ الإخاء، فقد قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعا من أصل واحد، ومن كان شأنهم كذلك فلا محل لأن يدعي بعضهم السمو على الآخر، وأنهم وإن تفرقوا في البلاد واختلفوا في الأجناس واللغات والألوان، فإن تلك الاختلافات لا تزيل عنهم صفة الأخوة، بل توجب عليهم أن يتعارفوا، والتعارف يدعوا إلى التآلف والتواد والتعاون.

وأما مبدأ المساواة الإنسانية فأساسه أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه، من حيث هو إنسان من أي سلالة كان، ومن أي لون كان، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر، وبين قوم وقوم، مسقطا كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية، فالبلاد كلها أرض الله والناس كلهم عباد الله، وبهذا تسقط الاعتبارات الطبقية التي قامت عليها كثير من المجتمعات قديما وحديثا، والتي أقام عليها بعض الناس فلسفتهم الحاقدة، والتي تبني طبقة واحدة بهدم كل الطبقات.

واختلاف الأديان لا يسقط عن المخالفين إنسانيتهم، وقد يختلف الناس في أجناسهم وأنسابهم وثرواتهم ومناصبهم... ولكن هذا الاختلاف لا يجعل للواحد منهم قيمة إنسانية أكبر من قيمة الآخر، فالقيمة الإنسانية واحدة للجميع.

أقوم تعلماتي:

1 - أبين حكمة اختلاف الناس في أجناسهم ولغاتهم.
2 - أستدل بأن الجنين يكون من ماء الرجل والمرأة معا.
3 - أحدد المعيار الصحيح للتفاضل بين الناس.
4 - أذكر شرط الزواج الذي استنبطه الإمام مالك من الآية مع التمثيل له.
5 - أحدد مفهوم المساواة في الإسلام.
6 - أبين الموانع التي تمنع تحقيق المساواة في أي مجتمع.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

• ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أشياء:
- المساواة: فالناس سواسية في الأصل، فهم من أب وأم واحدة، وفي الحقوق والواجبات التشريعية.
- تعارف المجتمع الإنساني: فالله خلق الخلق أنسابا وأصهارا وقبائل وشعوبا من أجل التعارف والتواصل والتعاون، لا للتناكر والتقاطع والمعاداة، والسخرية والغيبة...
- حصر التفاضل في التقوى والعمل الصالح: فالأكرم عند الله هو الأتقى الأصلح لنفسه والجماعة.
• ذهب الإمام مالك إلى أن المعتبر في الزواج الكفاءة في الدِّينِ، وقال أبو حنيفة والشافعي يراعى الحسب والمال فذلك أدعى لدوام الألفة والوئام.

المحتـــويـــات

الدورة الثانية

الوحدة الثانية: الأمن الصحي والاجتماعي في الإسلام

ر.ت	الموضوع	المضـــامين	الحصة	الأنشطة	التقويم
11	الالتزام بالعقود	من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: 1, 2)	2س	1س	
12	تعظيم شعائر الله	من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة: الآية3)	2س	1س	
13	الضار من الأطعمة	من قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾(المائدة: من الآية4)	2س	1س	
14	إكمال الدين	من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: من الآية4)	2س	1س	تقويم ودعم
15	أحكام الصيد البري	من قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة: الآية 5)	2س	1س	
16	حكم طعام أهل الكتاب	من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: الآية6)	2س	1س	
17	الطهـــارة	من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: الآية7)	2س	1س	تقويم ودعم
18	الوفاء بعهد الله	من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(المائدة: الآية8)	2س	1س	
19	العـــدل	من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(المائدة: الآية9)	2س	1س	
20	محاربة الفساد	من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إلى قوله تعالى:﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(المائدة: 35 – 36)	3س	1س	تقويم إجمالي
		المجمـــــــوع	21س	10س	03 س

الدرس 11

درس نظري

الالتزام بالعقود

أهـداف الـدرس

- إدراك حكم الوفاء بالعقود وفوائده.
- تعرف بعض ما أحله الله، وما استثناه من ذلك.
- تعزيز الإيمان بأن إرادة الله مطلقة.

مدخل تمهيدي:

تعريف بسورة المائدة:

تسميتها: سُميت «بسورة المائدة» لورود ذكر المائدة فيها حين طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء يأكلوا منها وتطمئن قلوبهم، وتكون آية تدل على صدق نبوته.

ما اشتملت عليه: سورة المائدة من السور المدنية الطويلة، وقد تناولت كسائر السور المدنية جانب التشريع بإسهاب، ومن ذلك أحكام العقود والذبائح والصيد والإحرام ونكاح الكتابيات، والردة وأحكام الطهارة، وحد السرقة... وإلى جانب التشريع قص علينا الله بعض القصص للعبرة والعظة، فذكر قصة بني إسرائيل مع موسى، وقصة ابني آدم قابيل وهابيل، وقصة المائدة التي كانت معجزة لعيسى عليه السلام، كما أن السورة عرضت لمناقشة اليهود والنصارى في عقائدهم الفاسدة، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق من الذرية والبنين، ونقضوا العهود والمواثيق، وحرفوا التوراة والإنجيل، وكفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وختمت السورة بالموقف الرهيب يوم الحشر الأكبر حيث يدعى عيسى عليه السلام على رؤوس الأشهاد تبكيتا للنصارى الذين عبدوه من دون الله.

فمن أحكام سورة المائدة الوفاء بالعقود وحلية بهيمة الأنعام إلا ما استثني. فما المقصود بالوفاء بالعقود الوارد في بداية السورة؟ وما نوع بهيمة الأنعام التي أحلها الله لنا؟ وما الذي حرمه منها؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

سورة المائدة : الآية: 1

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **أَوْفُـوا:** من الوفاء والإيفاء وهو الإتيان بالشيء وافيا كاملا لا نقص فيه.
- **بِالْعُقُـودِ:** جمع عَقْد، وهو العهد الموثق.
- **بَهِيمَـةُ:** اسم لذوات الأربع من دواب البر والبحر.
- **الْأَنْعَـام:** جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم.
- **إِلَّا مَا يُتْلَى:** إلا ما حُرِّمَ عليكم في آيات أخرى.

- **حُـرُمٌ:** جمع حرام، يقال: أحرم الرجل فهو محرم بحج أو عمرة.
- **يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ:** يُحِلُّ ويحرم ما يشاء.

أحدد المستفاد من الآية :

- أحدد الشيء المأمور به في الآية الكريمة.
- أذكر ما أشارت إليه الآية الكريمة من أحكام.

التفسير والبيان :

أولا: الأمر بالوفاء بالعقود:

استهل الله سبحانه وتعالى سورة المائدة بأمر إلهي يعتبر أصل العقود في الإسلام وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وفي تحديد المخاطَبين بهذا الأمر قولان:

- قيل: الآية خاصة بأهل الكتاب لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿187﴾﴾ (آل عمران: 187)

- وقيل: الآية عامة وهو الصحيح، فإن لفظ المؤمنين يعم مؤمني أهل الكتاب باعتبار أن بينهم وبين الله عقدا في أداء الأمانة فيما في كتابهم من أمر محمد ﷺ، ويعم المؤمنين من المسلمين أيضا. وقد نادى الله المؤمنين بوصف الإيمان لحثهم على امتثال ما يكلفهم به، لأن من مقتضيات الإيمان الاستجابة للأوامر الشرعية.

أما موضوع الخطاب فهو الأمر بالوفاء بالعقود، والوفاء هو الإتيان بالشيء وافيا كاملا لا نقص فيه، وحقيقة العقد هو الربط بين طرفي حبل، ثم استعمل مجازا في الالتزام من جانبين بشيء ومقابله.

والعقود في الآية تشمل جميع العقود، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

1 - **عقود الشريعة:** وهي ما يعقده المسلم مع الله سبحانه وتعالى، ومع الرسول ﷺ بمجرد دخوله في الإسلام، وأوثق هذه العقود هو عقد الإيمان الذي يتفرع عن الالتزام به، الالتزام بجميع العقود الأخرى التي تتضمن التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده، وما أحل وما حرم عليهم، لأنها كالعقود، إذ قد التزمها الداخل في الإسلام ضمنا.

2 - **عقود المعاملات:** وهي ما يعقده الناس بعضهم مع بعض، وهي كثيرة نذكر منها:

- العقود التي عاقد المسلمون عليها المشركين، كعقود المصالحات والمهادنات، ويشهد لذلك صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش.
- العقود المالية كالبيع والإجارة والشركة وغيرها.
- العقود المعنوية كالزواج والطلاق وغيرهما.
- العقود التي قد تجمع بين الحق المالي والحق المعنوي كحقوق الوالدين والأقارب والجيران والمسلمين وغيرهم، فكل التزام بين طرفين - بشكل صريح أو ضمني- ينبغي على كل طرف أن يفي به.

3 - **العقود التي يعقدها المسلم على نفسه**، كالنذر مثلا.

ومادامت عقود الشريعة مصدرها هو الشارع الحكيم، فهو بالضرورة لا يتصور فيه أن يكون مخالفا للشرع، على عكس عقود المعاملات بين الناس، والعقود التي يعقدها المسلم على نفسه، فلا بد أن تكون موافقة للشرع، وإلا فيكون عقدها باطلا وتنفيذها ممنوعا، ففي الحديث أن الرسول ﷺ قال: « مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ

شرط » أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله.

والوفاء بالعقود لم يوجبه الشرع إلا لكونه يحقق مصالح كثيرة للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، ونذكر على سبيل المثال رضى الله سبحانه وتعالى، ورضى الناس، وطمأنينة النفس، واستقامة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما يحقق الأمن والسعادة، ومتى غاب الوفاء بالعقود في أي مجتمع إلا وسادت فيه الفوضى وانعدمت الثقة، وعاش أفراده في شقاء، وآل مصيرهم في الآخرة إلى الخسران.

وخلاصة القول: فيجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به من قول أو فعل كما أمر الله، ما لم يحرم حلالا أو يحل حراما

ثانيا: حلية الأنعام إلا ما استثني منها:

إذا كانت الآية السابقة تتحدث عن الوفاء بالعقود بصفة إجمالية، فإن الآية التي تليها شرعت في تفصيل الأحكام التي أمر الله بالإيفاء بها، وبدأت بما يتعلق بضروريات معايشهم فقال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، أي أحل الله لكم الانتفاع ببهيمة الأنعام، وهو يشمل الانتفاع بلحمها وجلدها وعظمها وصوفها، والبهيمة في الأصل: كل حي لا يميز، وسميت بذلك لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها، وإضافة الأنعام إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه، لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، والأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز، وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما.

ثم استثنى الله تعالى من الأنعام محرمات فقال: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، أي يستثنى من حل بهيمة الأنعام ما يتلى عليكم من المحرمات الواردة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى والأحاديث النبوية، مثل: « نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ » أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية.

وقيد الله سبحانه وتعالى حلية بهيمة الأنعام كذلك بقوله عز وجل: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، أي أحلت لكم بهيمة الأنعام حالة كونكم غير محلي الصيد في الإحرام، فيحرم الصيد على من كان محرما بالحج والعمرة، أو كان موجودا في الحرم المكي والمدني ولو لم يكن محرما، والحرم: هو المكان المحدود المحيط بمكة من جهاتها على حدود معروفة، وهو الذي لا يصاد صيده، ولا يقطع شجره، ولا تحل لقطته، حدده إبراهيم عليه السلام ونصب أنصابا تعرف بها حدوده.

والخلاصة : أحلت لكم بهيمة الأنعام بشرط أن لا تكون صيدا أثناء الإحرام أو في الحرم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ تذييل قصد به بيان مشيئة الله النافذة، وإرادته الشاملة، وحكمه الذي لا يعقب عليه معقب. فالله يحكم بما يريد أن يحكم به من الأحكام التي تتعلق بالحلال وبالحرام وبغيرهما، بمقتضى مشيئته المبنية على الحكم البالغة، دون أن ينازعه منازع، أو يعارضه معارض، فاستجيبوا - أيها المؤمنون - لحُكْمه لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

قال القرطبي: وهذه الآية تلوح فصاحتها. وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصيرة بالكلام، فإنها تضمنت خمسة أحكام:

- الأول: الأمر بالوفاء بالعقود.
- الثاني: تحليل بهيمة الأنعام.
- الثالث: استثناء ما يلي بعد ذلك.
- الرابع: استثناء حال الإحرام فيما يصاد.
- الخامس: ما تقتضيه الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم.

الدرس 12

درس نظري

تعظيم شعائر اللّه

أهداف الدرس

- تعرف بعض شعائر الله قصد تعظيمها.
- إدراك خطورة الظلم.
- التحسيس بأهمية التعاون على الخير، وخطورة التعاون على الشر.

مدخل تمهيدي :

بعد أن أمر الله بالوفاء بالعقود، بين نماذج من العقود التي يجب الوفاء بها، فدعا إلى تعظيم شعائره، فما المقصود بشعائر الله؟ وكيف يمكن تعظيمها؟ وما بعض المخالفات التي تنافي هذا التعظيم؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

سورة المائدة :الآية 3

أسباب النزول:

- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير الطبري عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولّى خارجا نظر إليه فقال لمن عنده: لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتعوه – ليقمعوه ويذلوه- في عيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية، فانتهى القوم.
- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم ناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا فأنزل الله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾الآية.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **لَا تُحِلُّوا:** لا تنتهكوا ولا تعتدوا بتحليل ما حرم من شعائر الله.
- **شَعَائِرَ اللَّهِ:** جمع شعيرة، وهي ما جعله الله عَلَمًا على طاعته كمناسك الحج وسائر معالم الدين من حلال وحرام وحدود وغيرها.
- **الْهَدْيَ:** ما يتقرب به إلى الله من النعم ليذبح في الحرم.
- **الْقَلَائِدَ:** جمع قلادة، وهي ما يعلق في عنق الهدي ليعرف فلا يتعرض له أحد.
- **آمِّينَ:** قاصدين.

- **فَضْــلاً:** رزقا أو ربحا في التجارة.
- **رِضْــوَانًا:** رضى من الله يحول بينهم وبين عقوبته في الدنيا.
- **وَإِذَا حَلَلْتُـمْ:** خرجتم من إحرامكم.
- **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ:** لا يحملنكم ولا يكسبنكم.
- **شَــنَآنُ:** بغض شديد.

أحدد المستفاد من الآية :

- أحدد المنهيات التي نهى الله عنها في الآية الكريمة.
- أذكر ما أمر الله به عباده المؤمنين في الآية الكريمة.

التفسير والبيان :

أولا: تعظيم شعائر اللّه:

إذا كان الله سبحانه وتعالى خاطب المؤمنين في بداية السورة آمرا إياهم بالوفاء بالعقود، فإنه في هذه الآية خاطبهم كذلك بنفس الصفة، لكن هذه المرة أمرهم بتعظيم شعائره بالابتعاد عن الأمور التالية:

1 - **تحليل شعائر الله:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، وفي تفسير شعائر الله أقوال نذكر منها:

- شعائر الله هي مناسك الحج من طواف وسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك، فيكون معنى الآية: لا تحلوا مناسك الحج باستباحتها والتهاون بحرمتها والإخلال بأحكامها، والحيلولة بينها وبين المتنسكين بها، وصد الناس عن الحج في أشهر الحج، وفي نسبتها إلى الله تعظيم لها وتحذير من استحلالها.
- شعائر الله هي ما أُشْعِرَ من الحيوانات لتهدى إلى بيت الله، وإشعارُها يكون بقطع سنامها حتى يسيل منه الدم فيعلم أنها هدي.
- شعائر الله هي جميع ما أمر الله به ونهى عنه، أو هى الدين كله، فيكون معنى الآية: لا تتعدوا حدود الله.

2 - **انتهاك حرمة الأشهر الحرم:** قال تعالى : ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾، أي لا تنتهكوا ولا تتهاونوا في حرمة الأشهر الحرم باستباحة القتال فيها، وتبديلها بغيرها كما كان العرب يفعلون في الجاهلية، من تأخير حرمة شهر حرام إلى غيره، والأشهر الحرم أربعة وهي: ذوالقعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، ومنع قتال المشركين في هذه الأشهر محمول على عدم الاعتداء على المسلمين، وإلا فلهم الحق في رد الاعتداء، ثم نسخ تحريم القتال فيها بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾(التوبة من الآية:5)، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾(التوبة من الآية:36).

3 - **التعرض للهدي والقلائد:** قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾، أي لا تعترضوا الهدي المهدى للكعبة، وتمنعوا بلوغه محله من بيت الله بأخذه غصبا أو سرقته أو نحره في غير وقته المحدد أو غير ذلك من صور الاعتداء، وقد ذهب الجمهور إلى أن الهدي عام في جميع ما يتقرب به من الذبائح والصدقات.

كما نهى الله سبحانه وتعالى عن انتهاك حرمة ذوات القلائد وهي الهدي الذي يعلق في عنقه نعل أو جلد أو قشر شجر أو غيره، ليعلم أنه هدي فلا يتعرض له، وكأنه قال : لا تحلوا الهدي مقلَّدا ولا غير مقلَّد، وخص المقلد بالذكر لأنه أكرم الهدي وأشرفه.

وقيل المراد بالقلائد ما كان الناس يتقلدونه حتى يأمنوا على أنفسهم وأموالهم وغيرها، فيكون معنى الآية: لا تعترضوا أصحاب هذه القلائد من الوصول إلى هدفهم.

وقيل المراد بها نفس القلائد، فيكون النهي عن أخذ قشور الشجر أو غيرها ليتقلد بها طلبا للأمن.

4 - **التعرض لقاصدي البيت الحرام:** قال تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾، أي لا تحلوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين جاؤوا يطلبون من الله الرزق والثواب والرضوان، ولا تعترضوهم، وهذا كله من أجل أن يكون الناس في زمان الحج ومكانه في أمان واطمئنان، فلا يتعرض الحاج للقلق وللخوف على نفسه وماله.

وعلى اعتبار آمين البيت الحرام يقصد بهم الكفار القاصدين البيت الحرام على جهة التعبد والقربة، فقد قيل إن ما في الآيات من نهي عن مشرك، أو مراعاة حرمة له بقلادة، أو قصد البيت فهو كله منسوخ بآية السيف في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ (التوبة :5) وقوله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾(التوبة :28)، فلا يمَكَّن المشرك من الحج، ولا يؤمَّن في الأشهر الحرم وإن أهدى وقلَّدَ وحج؛ وقال آخرون إن الآية محكمة لم تنسخ وهي في المسلمين، وقد نهى الله عن إخافة من يقصد بيته من المسلمين، والنهي عام في الشهر الحرام وغيره، ولكن خص الشهر الحرام بالذكر تعظيما وتفضيلا.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ فهو أمر بعد الحظر السابق، أي إذا فرغتم من إحرامكم، أو خرجتم من أرض الحرم فاصطادوا كما تشاؤون، فإنما حرم عليكم الصيد في أرض الحرم وفي حال الإحرام فقط، فإذا زالت علة المنع زال المنع.

ثانيا: منع الاعتداء والدعوة إلى التعاون على البر والتقوى:

إن الوفاء بالعقود وتعظيم شعائر الله بعدم انتهاك حرمتها، وغير ذلك من صور الامتثال للأوامر واجتناب النواهي، يدخل ضمن أعمال البر والتقوى، ويحتاج من المرء إلى صبر ومجاهدة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾، أي لا يحملنكم بغض قوم قد صدوكم عن المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، أن تعتدوا عليهم بغير حق، قال ﷺ : « أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ...

والآية تؤكد لنا أن العدل مؤسس على إبعاد المؤثرات الخارجية التي لا دخل لها في موضوع القضية، فالبغض والحب، والقرب والبعد، والصداقة والعداوة، والغنى والفقر، والمنزلة الاجتماعية وغيرها تزيح العدل عن مساره، وتنشر الفوضى في المجتمع، وتؤدي إلى فقدان الثقة بين أفراده، ففي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » كتاب الحدود، باب النهي عن الشفاعة في الحدود.

وإذا كان التعاون بين أفراد المجتمع يحقق نتائج لا يستطيع الفرد تحقيقها بوحده، فلا يعني هذا أن كل تعاون محمود، فأي تعاون بين المسلمين فيما بينهم أو بينهم وبين الكفار لابد أن يخضع لمقتضى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، فالتعاون على ما تطمئن إليه القلوب من كل خير طلبه الشرع على سبيل الأمر أو النهي أمر مرغوب فيه، وهذا يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضا على كل ما ينفعهم أفرادا وجماعات في دينهم ودنياهم، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه كثيرة لا حصر لها، فواجب العالِم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعين الغني الفقير، ويعين القوي الضعيف...

أما التعاون على الذنوب والمعاصي والاعتداء على حقوق الغير، فهو أمر مذموم، لأن ما من منهي عنه إلا وفيه مضرة، وإن تجاهلها الإنسان أولم يستطع إدراكها، فذلك راجع إلى قصوره وضعفه الذي يفرض عليه أن يتبع من يستحيل في حقه القصور والضعف وهو الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿3﴾﴾ تذييل قصد به إنذار الذين يتعاونون على الإثم والعدوان. أي: اتقوا الله - أيها الناس - واخشوه فيما أمركم ونهاكم، فإنه سبحانه شديد العقاب لمن خالف أمره، وانحرف عن طريقه القويم.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد نهت المؤمنين عن استحلال ما حرمه الله عليهم من محارم، وعن الإخلال بشيء من أحكامها، كما نهتهم عن أن يحملهم بغضهم لغيرهم على الاعتداء عليه، وأمرتهم بأن يتعاونوا على فعل الخير الذي ينفعهم وينفع غيرهم من الناس وعلى ما يوصلهم إلى طاعته سبحانه وحسن مثوبته، ولا يتعاونوا على الأفعال التي يأثم فاعلها، وعلى مجاوزة حدود الله بالاعتداء على غيرهم. ثم حذرتهم في نهايتها من العقاب الشديد الذي ينزله سبحانه بكل من عصاه، وانحرف عن هداه.

أقوم تعلماتي:

1 - أحدد المقصود بشعائر الله في الآية الكريمة.

2 - أبين بم يتحقق تعظيم شعائر الله.

3 - أذكر ما تنتهك به حرمة الأشهر الحرم.

4 - أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾.

5 - أذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾.

6 - أشير إلى بعض نتائج التعاون على البر والتقوى.

7 - أذكر بعض صور التعاون على الإثم والعدوان التي ألحظها في مجتمعي.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- وجوب احترام شعائر الدين كلها بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

- أجاز الجمهور إشعار الهدي ومنعه أبو حنيفة على سبيل الكراهة لأنه تعذيب للحيوان، وأول الحديث الذي استدل به الجمهور، وفيه أن الرسول ﷺ أشعر ناقته، بأن الإشعار يجري مجرى الوسم الذي يعرف به الملك.

- لا يجوز بيع الهدي ولا هبته إذا قلد، لأنه قد وجب، وإن مات موجبُه لم يورَث عنه ويذبح في الحرم.

- دل قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ على جواز ابتغاء الربح في التجارة في الحج.

- إباحة الصيد بعد التحلل من الإحرام.

- حرمة الاعتداء مطلقا حتى على الكافر.

- وجوب التعاون بين الناس على البر والتقوى، وحرمة التعاون على الذنوب والمعاصي.

الدرس 13

درس نظري

الضَّار من الأطعمة

أهداف الدرس

- تعرف بعض الأطعمة المحرمة بنص قرآني.
- إدراك بعض الحكم من تحريمها.
- الابتعاد عما حرمه الشرع الحكيم.

مدخل تمهيدي:

بعد أن أحل الله للمؤمنين بهيمة الأنعام، وأشار إلى ما يستثنى منها بقوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾، ذكر في هذه الآية تفصيلا لهذه المستثنيات المحرمة، فما هي هذه المحرمات؟ وما الحكمة من تحريمها ؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عزوجل: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾

سورة المائدة: من الآية 3

أسباب النزول:

أخرج ابن منده في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن حجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة فأنزل تحريم الميتة، فأكفأت القدر.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- الْمَيْتَةُ: ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه، أي بدون تذكية.
- الدَّمُ: المراد الدم المسفوح.
- مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: ما رُفِعَ الصوت عند ذبحه باسم غير اسم الله تعالى.
- الْمُنْخَنِقَةُ: ما ماتت خنقا بحبل أو غيره.
- الْمَوْقُوذَةُ: المضروبة بعصا أو حجر فماتت به. والوقذ: شدة الضرب.
- الْمُتَرَدِّيَةُ: الساقطة من أعلى إلى أسفل فماتت.
- النَّطِيحَةُ: التي نطحتها أخرى فماتت.
- مَا أَكَلَ السَّبُعُ: ما أكل السبع بعضه ومات بجرحه، والسبع يدخل فيه كل حيوان مفترس.
- إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ: أي أدركتم فيه الروح فذبحتموه.
- النُّصُبِ: الأصنام.

- **أَنْ تَسْتَقْسِمُوا:** تطلبوا معرفة ما قسم لكم.
- **بِالْأَزْلَامِ:** جمع زَلَم، وهو قطعة من الخشب على هيئة السهم كان الجاهليون يستعملونها في الاستقسام، وتسمى أيضا بالقداح.
- **ذَلِكُمْ فِسْقٌ:** خروج عن طاعة الله تعالى ومعصية له سبحانه تعالى.

أحدد المستفاد من الآية:

- أذكر الأطعمة التي حرمتها الآية الكريمة.
- أستخلص ما استثناه الله من هذه الأطعمة.

التفسير والبيان:

أولا: تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به:

في هذه الآية الكريمة شروع في بيان المحرمات التي أشير إليها في بداية السورة بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، وهذه المحرمات هي:

الميتة: ويراد بها شرعا ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير بدون عمل من الإنسان يقصد به تذكيته أو صيده، وتحريم الميتة إنما يعني تحريم أكلها، فأما الانتفاع بجلدها أو قرونها أو عظمها أو شعرها فجائز، لأنه مال يمكن الاستفادة منه فلا تجوز إضاعته، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تُصُدِّقَ عَلَى مَوْلَاةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ، فَقَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ، فَقَالَ: إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا» أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ.

ومن حكم تحريم الميتة:

- أن الطباع السليمة تعافها وتستقذرها وتنفر منها.
- ما فيها من الضرر ببقاء بعض المواد الضارة في جسمها بسبب المرض أو بسبب احتباس الدم فيها.
- تعويد المسلم على العناية بما يملكه من الحيوان، وإلا مرض أو ضعف فمات وحرم من أكله.
- تعويد المسلم ألا يأكل إلا ما قصد إزهاق روحه، وبذلك يتعود القصد والإرادة في الأمور كلها.

ويستثنى من الميتة نوعان: السمك والجراد، ودليل ذلك:

- ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ» أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال.
- ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَاءِ الْبَحْرِ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» رواه النسائي في كتاب الصيد والذبائح، باب ميتة البحر.

الـدم: والمراد به الدم المسفوح، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: (أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا) - من الآية 145، والدم المسفوح هو السائل والمائع الذي يسفح ويراق من الحيوان وإن جمد بعد ذلك، بخلاف المتجمد طبيعة كالطحال والكبد، وما يتخلل اللحم عادة فلا يسمى مسفوحا.

وحكمة تحريم الدم:

- أنه مستقذر تعافه الطباع السليمة.

- أنه ضار لكونه عسير الهضم، ولما يحمله من المواد العفنة التي تنحل من الجسم، ولكونه من الفضلات...

لحم الخنزير: ويشمل جميع أجزائه حتى الشحم والجلد، وإنما خص اللحم بالذكر لأنه هو المقصود الأهم.

والحكمة من تحريمه أن الطباع السليمة تستخبثه لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات، كما أن لحمه يشتمل على جراثيم مضرة لا تقتلها حرارة النار عند الطبخ، فإذا وصلت إلى دم آكله عاشت في الدم فأحدثت أضرارا عظيمة، منها مرض الديدان التي في المعدة وغيرها، ويضاف إلى ذلك عسر هضمه، وغير ذلك من الأضرار التي اكتشفت، أو التي يمكن أن تكتشف لاحقا، وعلى كل حال يلتزم المسلم بالتحريم مطلقا سواء أدرك أضراره أم لم يدركها، لأن الله عز وجل ما حرم شيئا إلا لكونه من الخبائث.

ما أهل لغير الله به: معنى أَهَلَّ رفع الصوت، ويقصد به في الآية ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله كالأصنام، فقد كان أهل الجاهلية يرفعون أصواتهم عند الذبح أمام الأصنام قائلين: باسم اللات والعزى، أو باسم هبل...

ويشمل المنع كذلك:

- ما ذكر عليه اسم الله وذكر غيره بالعطف، كالقول باسم الله وباسم فلان.

- وما ذبح لغير وجه الله تعالى، ولو ذكر عليه اسم الله، مثل ما يذبح في الأضرحة تقربا لأصحابها.

وعلة التحريم الظاهرة هنا علة دينية لحماية التوحيد، وتطهير العقيدة، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية وغير ذلك، دون أن يعني هذا غياب الأضرار المادية، لأن ليس كل مجهول - من طرف الإنسان في وقت معين - منعدما، فالمستقبل كفيل باكتشاف أسرار أخرى لذلك التحريم.

أنواع أخرى من الميتة: من المحرمات التي ذكرتها الآية أيضا أنواع تدخل تحت اسم الميتة باعتبار غياب التذكية الشرعية، وعليه فلها نفس الحكم ونفس الأضرار، وخصت بالذكر لئلا يظن أنها ماتت بسبب أو بفعل فاعل يشبه التذكية، وهذه الأنواع هي:

- **المنخنقة:** وهي التي تموت اختناقا، بأن يلتف وثاقها على عنقها، أو تدخل رأسها في موضع لا تقدر على التخلص منه، أو نحو ذلك.

- **الموقوذة:** هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد كالخشب والحجر أو غيرهما حتى تموت بلا ذكاة شرعية، سواء رميت باليد أو بالمقلاع ونحوهما. والوَقْذُ حرام في الإسلام لأنه تعذيب للحيوان، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان القتل والذبح وتحديد الشفرة.

أما المقتول بالمحدد كالنار والرصاص المستعمل الآن في البناذق فيؤكل شرعا لما روي عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْمِي بِالْمِعْرَاضِ الصَّيْدَ فَأُصِيبُ فَقَالَ: «إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ - السهم- فَخَزَقَ - نفذ في الجسم - فَكُلْهُ وَإِنْ أَصَابَهُ بِعَرْضِهِ فَلَا تَأْكُلْهُ» رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة.

- المتردية: هي التي تسقط من مكان عال كالجبل أو السطح، أو تهوي في بئر، فتموت بذلك، سواء تردت بنفسها أو بغيرها، وإذا أصاب السهم الصيد فتردَّى من جبل أو سقط في بئر، حُرِّم لأنه ربما مات بالصدمة والتردي، لا بالسهم، ومنه قوله ﷺ لعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «وَإِنْ وَجَدْتَهُ غَرِيقًا فِي الْمَاءِ فَلَا تَأْكُلْ» رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة.

- **النطيحة:** هي التي تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى، وحكمها كالميتة حرام.

- **ما أكل السبع:** أي ما قتله حيوان مفترس كالأسد والنمر والذئب ونحوها، فتموت بسبب أكله بعضها أو جرحه لها، والمراد ما أكل منه السبع لا ما أكله كله، لأن ما أكله كله قد فني.

ثانيا: إباحة ما ذُكي وتحريم ما ذُبح على النصب والاستقسام بالأزلام:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى تحريم بعض المحرمات من الأطعمة، استثنى من ذلك ما أمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة، فقال عز وجل: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ وقد اختلف العلماء في نوع الاستثناء المذكور في الآية على فريقين:

- فريق رأى أن الاستثناء متصل يعود على المحرمات التي سبق ذكرها مما يقبل التذكية، فيخرج بهذا القيد الميتة والدم ولحم الخنزير، لأنها لا تحل أصلا ولو بذكاة. فيكون معنى الآية: إلا ما أدركتموه حيا - بأن يطرف عينيه أو يحرك ذنبه أو رجله أو نحو ذلك - فذكيتموه على النحو الشرعي فآنذاك يحل أكله، ولو غلب على الظن أن ذلك الحيوان يهلك بما حصل له من خنق أو وقذ أو غيرهما، وهذا مذهب الجمهور. ويؤيد كون الاستثناء متصلا:

1- إجماع العلماء على أن الذكاة تحلل ما يغلب على الظن أنه يعيش مع ما أصابه.

2- جعل الاستثناء منقطعا يحتاج إلى دليل.

- فريق رأى أن الاستثناء منقطع، ولا علاقة له بما تقدم ذكره من المحرمات، فيكون معنى الآية: إلا ما ذكيتموه من غير المحرمات المتقدمة فإنه حلال، لأن التحريم إنما يتعلق بهذه الحيوانات بعد الموت، وهي بعد الموت لا تذكى، وأجيب عن ذلك بأن الاستثناء متصل باعتبار ظاهر الحلال، فإن ظاهر هذه الحيوانات أنها تموت بما أصيبت به، فتكون حراما بحسب الظاهر، إلا ما أدرك حيا وذكي فإنه يكون حلالا.

وأضاف الله سبحانه وتعالى إلى المحرمات السابقة محرمين آخرين وهما:

ما ذبح على النُّصُبِ: فالنُّصُبُ حجارة كانت حول الكعبة عددها ثلاثمائة وستون حجرا منصوبا، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أوعندها تقربا للأصنام التي يعظمونها، فهذا من جنس ما أُهِلَّ لغير الله به، وإنما خُصَّ بالذكر لإزالة وهم من يتوهم أن في الذبح عليها تعظيما للبيت الحرام إذ لم يذكر عليها اسم غير الله.

والفرق بينهما أن ما أهل لغير الله به، قد يكون ذبح لصنم بعيدا عنه وعن النصب، وإنما ذكر عليه اسم الصنم، أما ما ذبح على النصب فلا بد أن يذبح عليه أو عنده، ولا يلزم أن يتلفظ باسم غير الله عليه. والتحريم لا يقتصر على ما ذبح على تلك الحجارة، بل يتعداه إلى ما ذبح على مثلها في أي زمان ومكان، حتى ولو ذكر عليه اسم الله لما في ذلك من الإشراك بالله.

الاستقسام بالأزلام: وهو طلب ما قسم للإنسان من خير أو شر بواسطة الأزلام، وهي سهام كانت لدى أهل الجاهلية مكتوب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: لا يكتب عليه أي شيء، فإذا أراد أحدهم سفرا، أو غزوا، أو زواجا، أو بيعا، أو نحو ذلك، حرك هذه الأزلام، فإن خرج له الزَّلَمُ الآمِر مضى لِمَا أراد، وإن خرج له الزَّلَمُ الناهي أمسك عن ذلك ولم يمض فيه، وإن خرج له الزَّلَمُ الفارغ كرر عملية التحريك مرة أو مرات أخرى حتى يخرج الآمر أو الناهي.

وهناك نوع آخر من الاستقسام بالأزلام عند أهل الجاهلية، وهو عبارة عن نوع من القمار حيث كانوا يشترون جزورا وينحرونه ويقسمونه إلى عدة أجزاء، فإذا خرج قدح أحدهم فاز صاحب القداح ذوات الأنصباء، وغرم من خرج له القدح الفارغ.

وحكمة هذا التحريم أنه من الخرافات والأوهام التي لا يركن إليها إلا من كان ضعيف العقل والعقيدة، ومثل هذا معرفة الحظ بالمِسْبَحَةِ أو المصحف، أو قراءة الكف أو الفنجان، وغير ذلك من وسائل التطير والقمار، وادعاء معرفة كل من الغيب والحظ، التي تتغير أسماؤها باختلاف الأمكنة والأزمنة، لكنها متحدة في علة تحريمها.

وقد شرع الإسلام بديلا شرعيا هو صلاة الاستخارة، كما أن طلب الفأل جائز لأنه من باب حسن الظن بالله، ولأنه تنشرح له النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل، فعن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا طِيَرَةَ

وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ، قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُم» أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الطيرة.

وأعقب الله سبحانه وتعالى ما ذكره من المحرمات بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾، أي وكل محرم مما سلف، فسق وخروج عن طاعة الله ورغبة عن شرعه إلى معصيته، وتجاوز للمألوف من الحكمة والمعقول.

أقوم تعلماتي:

1 - أحدد معنى الميتة شرعا.

2 - أبين الحكمة من تحريم كل من الميتة والدم.

3 - أستدل على أن من الميتة والدم ما هو مباح.

4 - أوضح المقصود بـ: ما أهل لغير الله به - المنخنقة - الموقوذة - المتردية - النطيحة.

5 - أحدد من يعود عليه الاستثناء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

6 - أذكر الفرق الموجود بين ما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب.

7 - أبين معنى الاستقسام بالأزلام، وأذكر بعض صوره.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- حرمة الميتة وما ذكر معها، وهي عشر من المحرمات.
- جواز أكل ما أدركه المسلم حياً من الحيوان المأكول فذكَّاه.
- حرمة الاستقسام بالأزلام، ومثلها الكهانة وقراءة الكف والفنجان وما أشبه ذلك.
- حرمة الذبح على القبور والقباب والنصب التذكارية، وهي من الشرك.
- تحريم الشيء مبني على ما فيه من أضرار مادية أو معنوية.
- قصور الإنسان عن إدراك ما في المحرمات من أضرار لا يعني عدم وجودها.
- من شكر الله أن تذكى الأنعام باسمه تعالى.

أثري تعلماتي:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنْ الْقُرْآنِ، إِذَا هَمَّ أحدكم بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ »

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب الدعاء عند الاستخارة.

- أذكر كيفية الاستخارة انطلاقا من الحديث.
- أحدد الصفات التي يعظم بها المستخير الله تعالى.

الدرس 14

درس نظري

إكمال الدين

أهداف الدرس

- إدراك بعض أوجه إكمال الدين وإتمام النعمة.
- تعرف بعض قيود الضرورة الشرعية.
- تقويم السلوك تبعا لما حدده الشرع.

مدخل تمهيدي:

لما حذر الله المؤمنين من تعاطي المحرمات المذكورة، وأخبرهم بانتصارهم على الكفار، بشرهم بمجموعة من النعم، وأباح لهم تناول ما حرمه عليهم إذا اضطروا لذلك. فما هو موضوع هذه البُشرى؟ وهل تلك الإباحة في حالة الضرورة على إطلاقها؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عزوجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

من الآية 3 من سورة المائدة

أسباب النزول:

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ:** أكملت لكم ما تحتاجونه في تكليفكم من حلال وحرام.
- **أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي:** بإكمال الدين، وقيل بدخول مكة آمنين.
- **رَضِيتُ:** اخترت.
- **فَمَنُ اضْطُرَّ:** من الاضطرار بمعنى الوقوع في الضرورة.
- **مَخْمَصَةٍ:** خلو البطن من الغذاء عند الجوع الشديد. يقال: خمصه الجوع خمصا ومخمصة، إذا اشتد به.
- **غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ:** غير مائل إلى معصية.

أحدد المستفاد من الآية:

- أذكر الأشياء التي منَّ الله بها على عباده انطلاقا من الآية.
- أبين حكم تناول الحرام في حالة الضرورة.

التفسير والبيان :

أولا : إكمال الدين :

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، فإكمال الله للدين يمكن فهمه من عدة أوجه:

- **الوجه الأول:** إكمال الدين يعني إتمامه في نفسه وبنيته الداخلية باشتماله على كل الأحكام التي يحتاجها الإنسان من فرائض وحلال وحرام، وأصول العقيدة والشريعة، وقواعد الاجتهاد وغير ذلك، وهذا ما يمكن إدراجه في خاصية الشمولية التي يتميز بها الإسلام.

- **الوجه الثاني:** إكمال الدين يعني إبلاغه الحد الأقصى الذي كان له عند الله في ما قضاه وقدَّره، لأن أحكامه جاءت مفرقة عبر سنوات البعثة المحمدية، فالرسول ﷺ حين كان بمكة، لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حج فكمل الدين، وبلغ أقصاه المقدر له.

- **الوجه الثالث:** إكمال الدين يعني توفيق الله للمسلمين للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فقد كانوا تشهَّدوا وصلَّوا وزكَّوا وصامُوا وجاهدوا واعتمروا ولم يكونوا حجوا، فلما حجوا ذلك اليوم كمل الدين بوضع اللبنة الأخيرة من أركان الإسلام وهي الحج.

- **الوجه الرابع:** إكمال الدين، يعني إكمال معظم الفرائض والتحليل والتحريم وليس كل الدين، بدليل أنه نزل بعد هذه الآية قرآن مثل آية الربا، وآية الكلالة، وغير ذلك.

- **الوجه الخامس:** إكمال الدين يعني أن أحكامه أصبحت نهائية ومؤبدة، وصالحة لكال زمان ومكان، ولا تقبل النسخ بعد ذلك.

- **الوجه السادس:** إكمال الدين في ظهوره، بإعلاء كلمته، وتفوقه على كل الأديان، بفضل ما يتميز به من توازن وانسجام وواقعية ووسطية واعتدال ويسر...

ثم بين الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾، أنه أتم نعمته على المسلمين بإكمال الشرائع والأحكام، وإظهار دين الإسلام، وفتح مكة ودخولها آمنين، وتحقيق وعد الله بالنصر على أعدائهم، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وهدايتهم بعد ضلال، إلى غير ذلك من نعم الله على عباده.

أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ فيدل على أن الله اختار لهذه الأمة الإسلام دينا ومنهجا خالدا وأعلم أفرادها بذلك، وما عليهم إلا أن يرضوه لأنفسهم ويلتزموا به. فمن اتبعه سعد في الدنيا والآخرة، ومن ابتغى غيره عُدَّ من الخاسرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿85﴾ ﴾ آل عمران /85.

وقد مكث الرسول ﷺ بعد نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ إحدى وثمانين ليلة ثم توفاه الله تعالى، وروي أنها لما نزلت و قرأها رسول الله ﷺ بكى عمر وقال: ما بعد الكمال إلا النقص مستشعرا قرب وفاة الرسول ﷺ.

ثانيا : أحكام الضرورة :

قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿3﴾ ﴾، فيه نص على حالة الضرورة التي هي استثناء من الأحكام العامة، فذكر أن المحرمات السابقة حرام على جميع المسلمين في كل الأحوال، إلا المضطر الذي حمل قهرا على تناول شيء من الحرام. فمن اضطرته شدة الجوع، وخاف على نفسه الهلاك، ولم يجد من الحلال ما يدفع به

ضرره، ويسد به رمقه، فإنه يجوز له حينئذ أن يتناول من تلك المحرمات ما يحفظ به حياته من الهلاك، لكن هذا الجواز ليس على إطلاقه، بل هو مقيد:

أولا: بألاَّ يكون الإنسان مائلا إلى تناول الحرام، وتعمد الإثم، بل يكون قصده دفع الضرر فقط.

ثانيا: ألا يتجاوز الحدود التي يحتاج إليها لدفع ذلك الضرر، فإن دفَعَه توقَّف، لأن الضرورة تقدر بقدرها.

فمن اضطر إلى أكل شيء مما ذكر، وتقيد بشروط الضرورة، فإن الله يغفر له ولا يؤاخذه، وهو تعالى رحيم بهذه المغفرة، وبإباحته لهم ما يدفع الضرر عنهم بما هو محرم من غير نقص يلحقهم في دينهم. أما من أكل من الميتة وغيرها من المحرمات متعمداً المعصية مائلاً إليها غير مبال بتحريم الله لها، فهو قد عصى الله وتعرض لنقمته وعذابه.

وفي معنى الآية ما جاء في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ من الآية 172، أي غير باغ للذة طالب لها، ولا متعدٍّ ومتجاوز قدر الضرورة فلا إثم عليه.

ورفعا لبعض الشبهات، فالضرورة ليست متروكة للناس يحددونها حسب أهوائهم، بل المرجع في كل ذلك هو الشرع، ولا يمكن لأي كان أن يتحايل عليه فيتناول حراما أو يتجاوز فيه حد الضرورة، ويتذرع بأن الضرورات تبيح المحظورات، ومن هنا تبرز أهمية الوازع الديني في الانضباط لأوامر الشرع، فقد تخدع كل الناس لأنهم لا يطلعون إلا على الظاهر، ويستحيل أن تخدع الله لأنه مطلع على الظاهر والباطن. كما يتضح جليا معنى استسلام المسلم وخضوعه لأوامر الشرع، فهو مرة ابتعد عن الحرام لأن الله حرمه، ومرة تناوله في حالة الضرورة لأن الله هو الذي أباح له ذلك.

وفي إباحة المحظورات عند الضرورات مسايرة لروح التيسير، ورفع الحرج، التي تتميز بها أحكام الإسلام.

أقوم تعلماتي:

1- أبين المقصود بإكمال الدين في الآية الكريمة.

2- أذكر بعض مظاهر إتمام الله نعمته على عباده المسلمين.

3- أوضح كيف استنتج الأمر بالالتزام بالإسلام انطلاقا من قوله تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾؟

4- أبين متى يجوز للإنسان أن يتناول الحرام انطلاقا من الآية الكريمة؟

5- أذكر القيود التي قيد بها جواز تناول الحرام في حالة الضرورة.

6- أرد - انطلاقا من تفسير الآية – على من يقول بأن مشاكل العمل والبيت فرضت عليه تناول الحرام.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- حرمة الابتداع في الدين.
- حرمة التشريع المنافي للشرع الإسلامي.
- إباحة المحرمات المذكورة عند الاضطرار إليها لدفع الضرر.
- الضرورة مقيدة بألا يكون قاصداً المعصية مائلاً إلى الإثم، وألا يتجاوز ما يدفع الضرر، لأن الضرورة تقدر بقدرها.
- من تناول الحرام بقصد التلذذ، أو تجاوز حد الضرورة وقع في الحرام.
- من رحمة الله على عباده إباحة المحظورات عند الضرورات.

الدرس 15

درس نظري

أحكام الصيد البري

أهداف الدرس

- إدراك مفهوم الطيبات.
- التعرف على بعض أحكام الصيد البري.
- التحسيس بأهمية تقوى الله في الوقوف عند حدوده.

مدخل تمهيدي:

بعد أن حرم الله في الآية المتقدمة بعض الخبائث الضارة لمتناولها، إما في دينه أو بدنه أو فيهما معا، واستثنى ما استثناه بالضرورة، قدم بديلا لذلك فأباح سبحانه وتعالى الطيبات، وخص منها الصيد البري، فما المقصود بالطيبات؟ وما هي بعض أحكام الصيد البري؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿4﴾ ﴾

الآية 4 من سورة المائدة

أسباب النزول:

1 - ذكر القرطبي أن الآية نزلت بسبب عدي بن حاتم، وزيد بن مهلهل، وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، قالا: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته، وقد حرَّم الله الميتة فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية.

2 - روى ابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أبا رافع بقتل الكلاب في المدينة، جاء الناس فقالوا: يا رسول الله، ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله الآية، فقرأها».

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **الطَّيِّبَاتُ:** هي كل ما لذ وطاب مما أباحه الله تعالى ولم ينه عنه.
- **الْجَوَارِحِ:** الكواسب من سباع البهائم والطير، واحدها جارحة، من الجُرح بمعنى الكسب.
- **مُكَلِّبِينَ:** مؤدبين ومعودين لها على الصيد. فالتكليب: تعليم الكلاب وما يشبهها الصيد. ثم استعمل في تعليم الجوارح مطلقا.

أحدد المستفاد من الآية:

- أحدد الأمور التي أحلها الله تعالى انطلاقا من الآية.
- أستخرج من الآية شروط حلية تناول ما صادته الجوارح.

التفسير والبيان :

أولا: حلية الطيبات:

بعد أن بين الله عز وجل ما حرمه على المسلمين، انتقل إلى بيان ما أحل لهم فقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ أي يسألك المؤمنون يا محمد ماذا أحل الله لهم من الأطعمة؟ وفي سؤالهم هذا تأكيد لقوة الارتباط بالله تعالى، فلا يريدون أن يقْدموا على شيء حتى يعرفوا فيه حكمه عز وجل، فأجابهم القرآن بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، فالله قد أناط إباحة الأطعمة بوصف الطيب، ولن يكون طيبا إلا إذا توفرت فيه الأوصاف التالية:

- أن يكون نافعا غير ضار.

- أن يكون مستلذا غير مستقذر في رأي أصحاب العقول السليمة الفطرة، بغض النظر عن العوائد والمألوفات، لأنه قد تجد ناسا يأبون أكل لحم أنثى الضأن ولحم المعز، وآخرون يكون ما يأباه الأولون محبذا لديهم بحكم العادة، والشريعة أوسع من ذلك كله، فلا يقضي فيها طبع فريق على فريق، بل العبرة باستطابة النفوس السليمة.

- ألا يكون منافيا للدين، أي غير محرم بنص أو اجتهاد.

وقد فُسِّرَتْ الطيبات بعدة معاني تتمحور كلها حول المباح والحلال، مع اختلاف بينها في ما يمكن إدراجه ضمن الطيبات في الآية، ومن هذه المعاني:

- كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن، ولا بالعقل. فدخل في ذلك جميع الحبوب والثمار، وجميع الحيوانات إلا ما نص الشرع على تحريمه. فهذا المعنى وسع دائرة الطيبات لتشمل كل ما لذ ونفع وانتفى عنه الضرر، ولم يحرمه الشرع، سواء في الحيوانات أو غيرها.

- الطيبات هي ما عدا المنصوص على تحريمه في القرآن، وهي المحرمات العشر المتقدمة، وما أضيف إليها بالسنة والاجتهاد الشرعي، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قَالَ : «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ» رواه مسلم/الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان / باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. فهذا المعنى وإن كان يبدو واسعا باعتباره الطيبات هي ما عدا المحرمات فهو أضيق من الأول، لأنه حصرها في مجال الحيوانات فقط.

- وقيل الطيبات الذبائح على اسم الله تعالى، لأنها طابت بالتذكية.

واقتران الطيبات بحكم التحليل في الآية دل على أن الطيب علة التحليل، وأفاد أن الحرام ضده وهو الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ الأعراف، من الآية 157.

ثانيا: بعض أحكام الصيد البري:

من بين الطيبات صيد الجوارح، وإنما خص بالبيان لأن طيبه قد يخفى من جهة خفاء معنى الذكاة فيه فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾:

- فيحتمل أن يكون ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطفا على ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ فيصير المعنى: أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم من الجوارح، و قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ للتفريع.

- ويحتمل أن تكون جملة ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ فتكون (ما) شرطية وجواب الشرط ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

و﴿مُكَلِّبِينَ﴾ وصف مشتق من اسم الكلب، وعلى هذا قصر البعض إباحة أكل ما قتله الجارح على صيد الكلاب فقط، أما ما يصاد بغيرها من الجوارح فما أُدْرِكَتْ ذكاتُهُ وذُكِّيَ صار حلالا، وإلا فهو حرام. وذهب الكثير من المفسرين إلى أن المقصود جميع الجوارح من كلاب وفهود وغيرها، وإنما جاءت عبارة ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ جريا على الغالب في صيد الجوارح وهذا هو الراجح. وفي قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ امتنان وتذكير بالنعم والمواهب التي أودعها الله في الإنسان، إذ جعله معلما، والمواهب التي أودعها الله في بعض الحيوان، إذ جعله قابلا للتعلم.

ومعنى الآية إباحة أكل ما صادته الجوارح: من كلاب، وفهود، وسباع طير: كالبزاة، والصقور، إذا كانت معلمة، وأمسكت بعد إرسال الصائد، وذكر عليها اسم الله، وتفصيل هذه الشروط كما يلي:

- **أن تكون الجوارح معلمة:** ويدرك ذلك بأمارات كثيرة منها: أن تأتمر إذا أمرت، وأن تنـزجر إذا زجرت، وأن تجيب إذا دعيت، وأن تأتي بما صادته لصاحبها، وغير ذلك من صفات التعليم المعروفة في عرف أهل الصيد.

- **أن تمسك الجوارح الصيد لأجل صاحبها لا لنفسها:** ويعرف هذا بإمساكها الصيد بعد إرسال الصائد لها بدون أن تأكل منه، لأن الإرسال يقوم مقام نية الذكاة.

واختلف العلماء في أكل الجارح من الصيد قبل الإتيان به إلى صاحبه:

- **فقال جماعة من الصحابة والتابعين:** إذا أكل الجارح من الصيد لم تؤكل البقية؛ لأنه إنما أمسك على نفسه، لا على صاحبه، واستدلوا بما روي عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَسَمَّيْتَ فَأَمْسَكَ وَقَتَلَ فَكُلْ وَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ...» رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة. وبه أخذ الشافعي، وأحمد، وغيرهما.

- **وقال جماعة من الصحابـة:** إذا أكل الجارح لم يضر أكله، ويؤكـل ما بقي. وهو قول مالك وأصحابه لعـموم قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وحديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ وفيه أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال فِي صَيْدِ الْكَلْبِ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ وَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ ... » رواه أبو داود في كتاب الصيد، باب في الصيد.

ووفَّقَ بعض العلماء بين القولين بالجمع بين الروايتين فحملوا حديث النهي على التنزيه والورع، وحديث الإباحة على الجواز، فقالوا: إن عَدِيًّا كان مُوسَّعًا عليه فأفتاه النبي ﷺ بالكف ورعا، وأبا ثَعْلَبة محتاجا فأفتاه بالجواز.

- ومالت جماعة ثالثة إلى الترخيص في أكل ما أكلت منه سباع الطير خاصة، لأنها لا تفقه من التعليم ما يفقه الكلب، وروي هذا عن أبي حنيفة وغيره.

- **أن يذكـر اسـم اللـه عنـد إرسـال الجـوارح:** لأنه قد يمـوت الصيد بجـرح الجـارح، وأما إذا أمسـكه حيـا فقد تعين ذبحـه فيذكـر اسـم اللـه عليه حينئـذ، فإن تـرك الصائد التسـمية عمداً لـم يـؤكل الصَّيْد عنـد الجمهور، لقولـه تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾(الأنعام من الآية 121)، وقوله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن نسي التسمية عند الإرسال، فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالخطأ والنسيان، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي.

ولما كانت التقوى هي الضامن لامتثال الأوامر واجتناب النواهي قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي اتقوا الله في هذه الحدود وقفوا عندها، واحذروا مخالفة أمره فيما أرشدكم إليه فهو عز وجل سريع الحساب، سيحاسبكم على أعمالكم من غير توان ولا تهاون، وسرعة الحساب تحتمل أكثر من وجه:

- **الوجه الأول:** محاسبة الله لعباده يوم القيامة تكون دفعة واحدة، فتكون بهذا سريعة.
- **الوجه الثاني:** حساب الله سريع لأن يوم القيامة قريب.
- **الوجه الثالث:** المراد بالحساب المجازاة في الدنيا، فكأنه تعالى توعد من لم يتقه بمجازاة سريعة.

أقوم تعلماتي:

1 - أذكر بعض أوصاف الأطعمة الطيبة.

2 - أبين المقصود بالطيبات في الآية.

3 - أوضح هل يقتصر الأمر في كلمة ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على الكلاب أم يتعداها إلى غيرها، وأعلل جوابي.

4 - أذكر باختصار شروط حلية تناول ما صادته الجوارح.

5 - أبين حكم من نسي ذكر اسم الله عند إرسال الجوارح، عمدا أو سهوا.

6 - أحدد الغاية من ختم الآية بالأمر بتقوى الله.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- مشروعية سؤال من لا يعلم عما ينبغي له أن يعلمه.
- إباحة الطيبات التي تستطيبها النفوس السليمة، وتحريم الخبائث.
- حلية الصيد بالجوارح من سباع البهائم والطير إن توفرت فيها الشروط.
- جمهور العلماء على جواز أكل الصيد الذي شرب الجارح من دمه.
- أجاز مالك وأبو حنيفة والشافعي الصيد بكلاب اليهودي والنصراني إذا كان الصائد مسلما والكلب معلَّماً قياساً على جواز الذبح بشفرتهم، وأما إذا كان الصائد من أهل الكتاب فجمهور العلماء على جواز صيده محتجِّين بأن الصيد صفة من صفات الذكاة، وذهب مالك إلى التفريق بين صيده وذبيحته، محتجا بأن الصيد رخصة للمسلمين فلا يؤكل صيد الكتابي، وتلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ المائدة من الآية 94.
- دل قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ على أفضلية العالِم على الجاهل، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان.
- ذهب جمهور العلماء إلى وجوب تسمية الله عند إرسال الجوارح للصيد، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

الدرس 16

درس نظري

حكم طعام أهل الكتاب

أهداف الدرس

- تعرف حكم طعام أهل الكتاب.
- إدراك حكم التزوج بالكتابيات.
- تبَيُّن أن تنفيذ أي حكم شرعي مرتبط بشروط وظروف معينة.

مدخل تمهيدي:

لما أجاب الله سبحانه وتعالى الذين يسألون ماذا أحل لهم؟ بأنه أَحَلَّ لهم الطيبات وما صادوه بالجوارح المعلمة، ونظرا لتسرب بعض نزعات الشرك إلى أهل الكتاب، مما قد يدفع بعض المسلمين إلى الظن بعدم جواز التعامل معهم، بين الله حكم مؤاكلتهم ومصاهرتهم. فما حكم طعام أهل الكتاب؟ وما حكم التزوج بنسائهم؟ وهل هذان الحكمان ينفذان دون قيود أو شروط؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عزوجل: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

سورة المائدة الآية 5

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ:** ذبائح **اليهود والنصارى.**
- **الْمُحْصَنَاتُ:** جمع محصنة، وهي العفيفة الحرة من النساء.
- **أُجُورَهُنَّ:** مهورهن وصدقاتهن.
- **مُسَافِحِينَ:** السفاح. الزنا. يقال: سافح الرجل المرأة إذا ارتكب معها فاحشة الزنا.
- **أَخْدَانٍ:** جمع خدن، وهو الخليل والصاحب في السر.
- **يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ:** يرتد عن الإِيمان، فالباء بمعنى عن.
- **حَبِطَ عَمَلُهُ:** بطل ثواب عمله.

أحدد المستفاد من الآية:

- أستخرج حكم طعام أهل الكتاب والتزوج بنسائهم.
- أذكر ما نصت عليه الآية من شروط التزوج بالكتابيات.
- أستخلص جزاء من كفر بالإيمان.

التفسير والبيان :

أولا: حكم طعام أهل الكتاب:

بعد أن ذكر الله تعالى بعض الطيبات التي أحلها لعباده، انتقل إلى ذكر طيبات أخرى من صنف آخر فقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ فأعاد ذكر إحلال الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من مختلف أنواع الطيبات، ولإزالة توهم من يظن أن طعام أهل الكتاب ومناكحتهم لا تدخل ضمن الطيبات، وهذه منة أخرى مَنَّ الله بها على المسلمين لكثرة مخالطتهم أهل الكتاب، فلو حرم الله عليهم طعامهم لشق ذلك عليهم.

وتقييد إحلال الطيبات باليوم، يحتمل أن يكون المقصود به الإعلام به في ذلك اليوم، وليس حصول الإحلال حقيقة، لأن إحلال الطيبات أمر سابق إذ لم يكن شيء منها محرما، ويحتمل أن يكون المقصود به إحلالها على سبيل التفصيل بعد أن كانت حلالا بالإجمال.

ثم شرع الله في تفصيل هذه الطيبات بقوله عز وجل: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، أي أحل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى خاصة، وفي تحديد المراد بالطعام قولان:

- **القول الأول:** معنى الطعام في الآية عام يشمل كل طعام قد يظن أنه محرم علينا إذ تدخله صنعتهم، وهم لا يَتَوَقَّوْنَ ما نَتَوَقَّى، وتدخله ذكاتهم وهم لا يشترطون فيها ما نشترطه.

- **القول الثاني:** معنى الطعام في الآية خاص بالذبائح، لأنها هي التي تصير طعاما بفعلهم، أما بقية المطعومات الأخرى كالفواكه والخضر وغيرها، فهي مباحة لجميع الناس فلا وجه لتخصيصها بأهل الكتاب أو غيرهم وهو رأي الجمهور.

وإذا كانت إباحة ذبيحة أهل الكتاب مباحة على وجه الإجمال، فإن ثمة تفاصيل تحتاج إلى توضيح ومنها :

- إذا لم يسمع من الكتابي أنه سمى غير الله كالمسيح وعزير، فإن ذبيحته حلال، لما روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قَوْمًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَمُّوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَكُلُوهُ » أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات. كما أن المسلم ليس عليه أن يسأل عما غاب عنه هل ذكر اسم الله عليه أم لم يذكر؟ تنفيذا لقاعدة عامة تقول: «ما غاب عنا لا نسأل عنه».

- إذا سمع من الكتابي تسمية غير الله عند الذبح، فمن الفقهاء من يحرم ذبيحته، لأنها مما أهل لغير الله به، وذهب بعضهم إلى إباحتها لأن الله قد أحل ذبائحهم وهو أعلم بما يقولون، و ذهب مالك إلى كراهتها دون تحريم، من باب الاحتياط والورع خشية أن تكون داخلة فيما أهل لغير الله به.

- ما كانت ذكاتهم فيه مخالفة لذكاتنا، كالمضروبة بمحدد على رأسها فتموت، والمفتولة العنق فتتمزق العروق، والمقتولة بالصعق الكهربائي أو بالمسدس، ونحو ذلك، فقال جمهور العلماء: لا تؤكل إذ لا فرق بين مسلم وكتابي في اشتراط التذكية

بالطريقة المعروفة (أي بمحدد في الحلق).

- لا يعتبر المجوس أهل كتاب عند أكثر العلماء، ولهذا فلا تؤكل ذبائحهم، وشذ من جعلهم أهل كتاب، أما المشركون من عبدة الأوثان والأصنام فليسوا من أهل الكتاب دون خلاف.

وبعد تبيين حكم طعام أهل الكتاب بالنسبة للمسلمين قال عز وجل: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾، أي وذبائحكم أيها المؤمنون حل لأهل الكتاب، فلا جناح عليكم أن تطعموهم من طعامكم أو تبيعوهم منه، وفائدة ذكر ذلك بيان أن إباحة الذبائح حاصلة من الجانبين، بخلاف إباحة المناكحات فإنها من جانب واحد.

ثانيا: حكم التزوج بالكتابيات:

قال تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، أي وأحل لكم أيضاً نكاح العفائف من المؤمنات، والعفائف من اليهوديات والنصرانيات، على شرط إتيانهن مهورهن بقصد الإحصان والعفاف حال كونكم ـ أيها الأزواج ـ محصنين لنسائكم، بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن، مجتنبين الزنى سواء على صورة السفاح أو على صورة اتخاذ الأخدان، فالمسافح هو الذي يأتي الفاحشة جهرا مع من كان، ومتخذ الخدن هو الذي يأتي الفاحشة سرا مع صديقته أو عشيقته، فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي الإحصان الذي شرع الزواج لأجله.

والآية جاءت لإباحة التزوج بالكتابيات، وذكرها للمحصنات المؤمنات إيماء إلى أنهن أولى بالمؤمنين من محصنات أهل الكتاب، وإذا كان نكاح الكتابيات أمرا مشروعا بنص الآية الكريمة، فإن جل الفقهاء قالوا بكراهته، ومنهم من قصر الكراهة على الحربية دون الذمية، والأسباب التي اعتمدوها في حكمهم بكراهة التزوج بالكتابيات كثيرة منها:

- مخافة تنصير الولد وتخلقه بأخلاق الكفار.

- نكاحها يستدعي مودتها لقوله تعالى في الزوجين: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ - الروم من الآية 21، ومودة الكفار ممنوعة لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ - المجادلة: 21

- أن الكتابية تأكل الخنزير، وتشرب الخمر، وتغذي أولادها على دينها وتطعمهم الحرام، وتسقيهم الخمر، إلى غير ذلك من الأسباب التي كانت أغلبها في عصر أولئك الفقهاء احتمالية، أما في عصرنا فقد أصبحت أمورا واقعية في أغلب الزيجات التي تتم بين المسلمين وأهل الكتاب، وأضيفت إليها أسباب أخرى وليدة العصر، كعدم عفة أغلب نساء أهل الكتاب، وعدم التزامهن بدينهن، وشعور كثير من المتزوجين بهن بالنقص أمامهن، وتعنيس الفتيات المسلمات، وهن كثيرات في العصر الحديث بشكل لا تدعو الحاجة إلى التزوج بغيرهن...، وهناك من الفقهاء من أفتى بحرمة التزوج بهن محتجين بأنهن مشركات، وقد قال عبد الله بن عمر: وأي الشرك أعظم من أن تقول إن ربها عيسى بن مريم، وأولوا قوله تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ على معنى واللاتي أسلمن من أهل الكتاب...

وعلى كل حال يمكن القول بأن الفقهاء بمواقفهم هذه لم يخرجوا عن جواز نكاح الكتابيات الذي أطلقه القرآن، ولكنهم كرهوا ذلك لأسباب تعتبرها الشريعة، وقد يرقى بعضها إلى درجة أن يمنع هذا الزواج خصوصا إذا أفضى إلى مفاسد كثيرة.

وإنما رخص الله للمسلمين في ذبائح أهل الكتاب والتزوج بنسائهم، لأنهم على دين إلهي يلتقون مع المسلمين في الإيمان ببعض المبادئ الأساسية من الاعتراف بإله، والإيمان بالرسل وباليوم الآخر، وما فيه من حساب وعقاب، ويتبعون في شؤونهم أحكاما مستندة للوحي الإلهي، وفي ذلك أيضا إظهار بأن ديننا هو دينهم في أسمى معانيه وأكمل صوره، مبرأ من البدع والأباطيل والأوثان.

وبعد بيان حكم نكاح الكتابيات حذر الله تعالى من المخالفات، ورغب فيما تقدم من أحكام الحلال فقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وفي هذا إشارة إلى أن استباحة المحرمات والجرأة على ذلك قد تؤدي إلى الكفر، ومن يكفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به، من كتبه ورسله، أو شيء من الشرائع، فقد بطل ثواب ما عمله، وأصبح في الآخرة من الخاسرين، الذين خسروا أنفسهم، وأعمالهم، وأموالهم، وأهليهم يوم القيامة بإلقائهم في نار جهنم خالدين فيها، هذا إذا ماتوا على الكفر كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ - البقرة -217. والمقصود من هذه الجملة الكريمة: الترهيب من مخالفة أوامر الله والترغيب في طاعته سبحانه.

أقوم تعلماتي:

1- أبين المقصود بطعام أهل الكتاب في الآية الكريمة.

2- أذكر حكم أكل ذبيحة النصراني التي ذبحها باسم المسيح.

3- أحدد الشرط الذي قيدت به الآية نكاح الكتابيات، وأشرحه.

4- أوضح الفرق بين السفاح واتخاذ الأخدان.

5- أذكر بعض الأسباب الموضوعية التي بنى عليها جل الفقهاء كراهتهم للزواج بالكتابيات.

6- أبين حكمة حرمة زواج المسلمة بالكتابي.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- إباحة نكاح الكتابيات بشرط أن تكون حرة عفيفة وأن يعقد عليها العقد الشرعي.
- حرمة نكاح المتعة ونكاح الخلة والصحبة الخاصة.
- المعاصي قد تقود إلى الكفر.
- بطلان ثواب أعمال من جحد أحكام الله وشرائعه، وكفر بأصول الإيمان وفروعه.

الدرس 17

درس نظري

الطهارة

أهداف الدرس

- تعرف بعض أحكام الطهارة.
- ربط الأحكام الشرعية بأسبابها.
- إدراك أهمية الطهارة المادية والمعنوية.

مدخل تمهيدي:

بعد أن بين الله عز وجل للإنسان الحلال والحرام في الطعام والزواج، طلب منه أن يفي بعهد الطاعة، وأعظم الطاعة بعد الإيمان الصلاة، والصلاة لا تصح إلا بالطهارة. فما المقصود بالطهارة شرعا؟ وما أنواعها؟ وما الحكمة من تشريعها؟

أقرأ وأتدبر:

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿6﴾ ﴾

الآية 6 من سورة المائدة

أسباب النزول:

أخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ، وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ، فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حِجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ... ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ الْمَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ، فَنَزَلَتْ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ الآيَةَ. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ. (كتاب التفسير، باب قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا).

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **إِذَا قُمْتُمْ:** إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون، أي على غير وضوء.
- **جُنُبًا:** من أصابته الجنابة بسبب جماع أو احتلام أو غيرهما مما تتحقق معه الجنابة.
- **فَاطَّهَّرُوا:** فاغتسلوا. أصله فتطهروا فأدغمت التاء في الطاء.
- **الْغَائِطِ:** كناية عن الخارج من أحد السبيلين.
- **صَعِيدًا:** الصعيد يطلق على وجه الأرض البارز ترابا كان أو غيره. وقيل يطلق على التراب فحسب.

أحدد المستفاد من الآية:

- أحدد فرائض الوضوء المذكورة في الآية.
- أبين السبب الموجب للغسل حسب الآية.
- أذكر الأسباب المبيحة للتيمم.

التفسير والبيان :

أولا : فرضية الوضوء والغسل من الجنابة:

إن من العقود التي يجب الوفاء بها الصلاة التي لا تصح بدون طهارة، والطهارة إما غسل، وإما وضوء وإما عوض عنهما وهو التيمم، ولما كان أعظم الطاعات بعد الإيمان الصلاة، وكانت الصلاة لا يمكن إقامتها إلا بالطهارة لا جرم بدأ سبحانه بذكر فرائض الوضوء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾، أي يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وعزمتم عليها وأنتم محدثون فعليكم بالوضوء وجوبا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» أخرجه البخاري في كتاب الحيل، باب في الصلاة.

وفرائض الوضوء في الآية أربعة وهي:

- **غسل الوجه:** والوجه ما تحصل به المواجهة، من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى منتهى اللحيين والذقن، طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضا، ومن له لحية خفيفة فلا بد من غسل ظاهر الشعر وإيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت اللحية كثيفة اكتفي بظاهرها وتم تخليلها، أما المضمضة والاستنشاق فثبت حكمهما بالسنة.

- **غسل اليدين إلى المرفقين:** والمرفق هو المفصل الذي بين العضد والساعد، واليد في الوضوء: من رؤوس الأصابع إلى المرافق، وقال الجمهور بوجوب غسل المرافق احتياطا في العبادات.

- **مسح الرأس:** ذهب المالكية والحنابلة إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ زائدة، لأن التركيب يدل على وجوب مسح كل الرأس، فيمسح الكل احتياطا، وقال الحنفية والشافعية: الباء هنا للتبعيض لكنهم اختلفوا في البعض الواجب مسحه من الرأس، فقال الشافعية: يكفي أقل ما يطلق عليه اسم المسح، ولو شعرة في حد الرأس، وقال أبو حنيفة: الواجب مسح ربع الرأس، لأن المسح إنما يكون باليد، ومحلها يقدر في الغالب بالربع، والمسح عند الجمهور على أن المسحة الواحدة تجزئ، ويبدأ بمقدم الرأس ثم يذهب بيديه إلى مؤخره، ثم يردهما إلى مقدمه.

- **غسل الرجلين إلى الكعبين:** وهما العظمان الناتئان(البارزان) عند مفصل القدم والساق من الجانبين، والجمهور على وجوب غسل الكعبين مع الرجلين احتياطا، ومما استدلوا به ما رُوِيَ عَنْ سَالِمٍ مَوْلَى شَدَّادٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَتَوَضَّأَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَسْبِغِ الْوُضُوءَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ» أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما. وعَنْ جَابِرٍ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلاً تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « ارْجِعْ فَأَحْسِنْ

وُضُوءَكَ» فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى.أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة.

ومن فرائض الوضوء الأخرى النية عند الجمهور غير الحنفية، والموالاة وهي المتابعة بين أعضاء الوضوء المذكورة، بحيث لا يتخلل بين غسل العضو والآخر مدة يجف فيها الأول ،عند المالكية والحنابلة، والدلك بباطن الكف عند المالكية.

وللوضوء سنن وهي: غسل الكفين ثلاثا قبل إدخالهما في الإناء، والمضمضة، والاستنشاق والاستنثار، ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا بماء جديد، والترتيب بين الأعضاء، ومن العلماء من زاد في السنن إطالة الغرة (بأن يغسل جزءا من مقدم الرأس، زائدا عن المفروض في غسل الوجه) وإطالة التحجيل(بأن يغسل ما فوق المرفقين والكعبين) وتخليل اللحية الكثة لغير المحرم، وتخليل أصابع اليدين والرجلين.

ومن فضائله: التسمية في أوله، السواك، وتثليث الغسل، والتيامن (وهو تقديم اليمين على اليسار في غسل اليدين والرجلين) والابتداء بمقدم الرأس، وذكر الله أثناء الوضوء، وأن يقول في آخره: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

أما الغسل من الجنابة فهو واجب بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي فاغتسلوا، وقد بينت السنة كيفية الغسل، وهي أن ينوي المرء رفع الحدث الأكبر بقلبه، ويغسل كفيه قائلاً: بسم الله، ويغسل فرجه من الجنابة، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يخلل أصول شعر رأسه ببلل يديه، ثم يفيض على رأسه ثلاث غرفات، ثم يغسل شق جسده الأيمن كله من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر، ويتعاهد الأمكنة التي قد لا يصلها الماء، كالسرة، وتحت الإبطين، وأصول الفخذين، وتحت الركبتين.

وموجبات الغسل هي:

- الجنابة: وهي معنى شرعي يستلزم اجتناب الصلاة وقراءة القرآن، ومس المصحف، ودخول المسجد، إلى أن يغتسل الجنب.
- انقطاع دم الحيض والنفاس.
- الدخول في الإسلام.
- موت المسلم إلا إذا كان شهيدا فإنه لا يغسل، ويدفن في ثيابه.

وحكمة الوضوء والغسل: النظافة، وبعث النشاط، ليقف العبد بين يدي ربه حاضر القلب صافي الروح، والغسل من الجنابة لإزالة ما يعتري الجسم من فتور واسترخاء.

ثانيا : من مظاهر يسر الإسلام تشريعه للتيمم:

من واقعية الإسلام ويسره أنه يراعي أحوال جميع الناس، فمن وجد الماء فعليه أن يستعمله في الوضوء والغسل، ومن لم يجده أو تعذر عليه استعماله أعطاه بديلا وهو التيمم ، قال تعالى:﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ فا لآية ذكرت الأسباب المبيحة للتيمم وهي:

1- **المرض:** وهو عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال والاعتياد، إلى الاعوجاج والشذوذ. فإن كان المرض مما يخاف معه فوت بعض الأعضاء، أو حدوث علة، أو زيادتها، أو بطء برء، فهو مبيح للتيمم. فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ » فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم. وفي هذا إقرار، والإقرار حجة، لأنه ﷺ لا يقر على باطل.

2- **السفر:** فالتيمم يجوز بسبب السفر طال أو قصر عند عدم الماء، ولا يشترط أن يكون مما تقصر فيه الصلاة كما ذهب إلى ذلك الإمام مالك وجمهور العلماء. وقال قوم: لا يتيمم إلا في سفر تقصر فيه الصلاة. أما التيمم في الحضر فقد اختلفوا فيه؛ فذهب مالك وأصحابه وغيرهم إلى أن التيمم في الحضر والسفر جائز؛ لأن ذكر الله تعالى المرضى والمسافرين، في شرط التيمم خرج على الأغلب فيمن لا يجد الماء، والحاضرون الأغلب عليهم وجوده، فلذلك لم ينص عليهم. فكل من لم يجد الماء، أو منعه منه مانع، أو خاف فوات وقت الصلاة، تيمم. المسافر بالنص، والحاضر بالمعنى. وكذلك المريض بالنص والصحيح بالمعنى.

3- **المجيء من الغائط:** والغائط في أصله ما انخفض من الأرض، وكانت العرب تقصد هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تسترا عن أعين الناس، ثم سمي الحدث الخارج من الإنسان غائطا للمقارنة. و لفظ "الغائط" يجمع بالمعنى جميع الأحداث الناقضة للطهارة الصغرى.

4- **ملامسة النساء:** اختلف العلماء في تفسير الملامسة، فمنهم من فسرها بالجماع، ومنهم من خصها باللمس باليد، قال مالك: الملامس بالجماع يتيمم، والملامس باليد يتيمم إذا الْتَذَّ. فإذا لمسها بغير شهوة فلا وضوء؛ وقد علل ابن العربي أن المقصود في الآية الملامسة ما دون الجماع، وأن الوضوء يجب بذلك بقوله: وهو الظاهر من معنى الآية؛ فإن قوله في أولها: ﴿جُنُبًا﴾ أفاد الجماع، وإن قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾، أفاد الحدث، وإن قوله: ﴿لَامَسْتُمُ﴾ أفاد اللمس والقبل. فصارت ثلاث جمل لثلاثة أحكام، وهذه غاية في العلم والإعلام. ولو كان المراد باللمس الجماع كان تكرارا في الكلام.

فإذا كنتم على حال من الأحوال الأربعة المتقدمة، ولم تجدوا ماء بعد طلبه والبحث عنه، أو تعذر عليكم استعماله لمرض أو غيره ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، أي فاقصدوا صعيدا طيبا، والصعيد: وجه الأرض ترابا كان أو حجارة أو حصى أو رملا أو غير ذلك، والمراد بالطَّيِّبِ: الطهور الذي لا نجاسة فيه، ثم بين الله تعالى كيفية التيمم بقوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾، أي فاضربوا على الصعيد وامسحوا وجوهكم وأيديكم، والمسح هنا عبارة عن جر اليد على الممسوح خاصة.

وقد اختلف العلماء في المقدار الواجب مسحه من اليدين، فذهب البعض إلى أن الواجب: مسحهما إلى المرفقين قياسا على الوضوء، وذهب آخرون إلى أن الواجب مسحهما إلى الرسغين فقط، أما مسحهما إلى المرفقين فذلك من سنن التيمم لا من واجباته. واختلفوا أيضا هل يكفي في التيمم ضربة واحدة أم لا؟ فذهب أكثر الفقهاء إلى أنه لا بد من ضربتين: إحداهما للوجه، والأخرى للكفين، ومنهم من قال بوجوب الثانية، ومنهم من قال بسنيتها كمالك.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حكمة مشروعية التيمم فقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي أن الله تعالى ما يريد ليجعل عليكم فيما شرعه من أحكام الوضوء والغسل والتيمم وغيرها ضيقا ومشقة، بل يريد ليطهركم من الدنس المادي بإزالة الأقذار والأحداث، ومن الدنس المعنوي بمغفرة الذنوب وطرد الكسل الحاصل عقب الجنابة، وبعث النشاط، لتكون النفس صافية مرتاحة في مناجاة ربها، ويريد أيضا أن يتم عليكم نعمته بالترخيص في التيمم، وبتبيان الشرائع، وغفران الذنوب، وذلك لتشكروا نعمته فتقبلوا على طاعته.

أقوم تعلماتي:

1- أبين حدود الوجه المأمور بغسله في الوضوء.

2- أذكر سبب اختلاف الفقهاء في المقدار الواجب مسحه من الرأس.

3- أستخلص فرائض الوضوء عند المالكية.

4- أحدد موجبات الغسل، و الأسباب المبيحة للتيمم.

5- أبين أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

6- أوضح وجه المناسبة بين قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ الآية، وما قبلها.

أستخلص بعض الأحكام والقيم:

- الطهارة شرط لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر، الوجوب.

- إن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، في الفرض، والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.

- استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به، لقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾.

- التيمم بدلٌ عن الوضوء في الحدث الأصغر باتفاق، وبدلٌ عن الغسل في الحدث الأكبر عند أكثر الفقهاء.

- من وجد الماء وهو في الصلاة يكملها ولا يقطعها عند المالكية لأنه لا يجوز إبطال الصلاة.

- لو وجد الشخص ماء كافيا لبعض الوضوء أو الغسل، يتيمم عند المالكية، ولا يستعمل الماء في شيء من أعضائه.

- طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح.

- طهارة التيمم وإن لم يكن فيها نظافة وطهارة، تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية، ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى.

- ينبغي للعبد أن يتدبر الحكم والأسرار، في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلما، ويزداد شكرا لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة.

- الإسلام دين يسر وسماحة، لأنه قائم على مبدإ رفع الحرج.

الدرس 18

درس نظري

الوفاء بعهد الله

أهداف الدرس

- إدراك قيمة الوفاء بالعهد وأهميته.
- تعرف أن الوفاء بالعهد من الإيمان.
- العمل على التحلي بخلق الوفاء بالعهد .

مدخل تمهيدي:

لما ذكر الله سبحانه في الآيات السابقة أحكام الطهارة، من وضوء وغسل وتيمم، ختمها بالأمر بتذكر نعمته التي أنعم بها على عباده كرفع الحرج والمشقة، فكيف يتذكر العبد نعم الله؟ وما واجب المسلم نحوها؟ وما الميثاق الذي ألزم الله عباده بالوفاء به؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عزوجل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

سورة المائدة: الآية 7

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ:** استحضروا وتذكروا النعم في كل لحظة.
- **مِيثَاقَهُ:** أي ميثاق الله تعالى وهو عهده المؤكد، والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
- **وَاثَقَكُمْ بِهِ:** عهده الذي أخذه عليكم.

أحدد المستفاد من الآية:

- أستخرج النعمة التي أمر الله بتذكرها.
- أبين العهد الذي أخذه الله على المؤمنين.
- أذكر الأمر الموجه للمؤمنين في نهاية الآية.

التفسير والبيان :

أولا: الأمر بتذكر نعمة الله:

بعد أن بين سبحانه الأحكام المتعلقة بالطهارة، والحكمة من تشريعه لرخصة التيمم، عطف على ذلك الأمر بتذكر نعمته التي أنعم بها عليهم، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، والمراد: أنه سبحانه ذكّرهم بنعم مضت تذكيراً يقصد منه الحثّ على الشكر وعلى الوفاء بالعهود، والمراد من النّعمة جنسها لا نعمة معيّنة، وهي ما في الإسلام من العزّ والتمكين في

الأرض وذهاب أحوال الجاهلية وصلاح أحوال الأمّة، والخطاب للمؤمنين على الخصوص ليتذكروا نعمته عليهم بأن هداهم من العقود لما فيه الرضى، ووفقهم لما فيه نجاتهم من الضلالة والردى في نعم غيرها جمة، ومعلوم أن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لأوامره ونواهيه، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إنما قال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل نعم الله عليكم، لأنه ليس المقصود منه التأمل في أعداد نعم الله، بل المقصود منه التأمل في جنس نعم الله، لأن هذا الجنس جنس لا يقدر غير الله عليه، فمن الذي يقدر على إعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية، والصون عن الآفات، والإيصال إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة.

المسألة الثانية: قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾مشعر بسبق النسيان، فكيف يعقل نسيانها مع أنها متواترة متوالية علينا في جميع الساعات والأوقات، إلاّ أن الجواب عنه أنها لكثرتها وتعاقبها صارت كالأمر المعتاد، فصارت غلبة ظهورها وكثرتها سبباً لوقوعها في محل النسيان.

وكثيرة هي الآيات التي أمر الله فيها المؤمنين وغيرهم من عباده إلى تأمل النعم تعظيما لصاحبها، وشكره عليها باستعمالها فيما يرضي الله، ومن ذلك ما أمر به أهل الكتاب الذين جحدوا نعما كثيرة أنعم بها عليهم في نفس السورة فقال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20)﴾- المائدة من الآية 20، بل نبه المؤمنين على أن الذنوب تغير النعم وتحولها إلى نقم، وتتغير بتغير أصحابها، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ - الأنفال: من الآية 53، وذكرهم بنعمته عليهم بنصره لهم في غزوة الأحزاب في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (الأحزاب:من الآية 9)، وغيرها من النعم التي لا حصر لها.

وقد قسم ابن القيم رحمه الله النعمة إلى قسمين فقال: "والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها... والنعمة الثانية النعمة المقيدة كنعمة الصحة، والغنى، وعافية الجسد، وتبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر.

والغاية من التذكير بالنعم:

- **تحقيق الشكر الذي تزيد به النعم ولا تنقص.**
- **الاعتراف بوجود الله وعظمته.**
- **تثبيت الإيمان وزيادته، فبقدر ما يكثر العبد من الشكر بقدر ما يزاد قربه لله تعالى.**

ثانيا: الوفاء بعهد الله:

بعد أن أمر الله سبحانه بتذكر ما أنعم به على عباده المؤمنين من الهداية للإسلام والانقياد له ولرسوله، عطف عليه الأمر بتذكر العهد والميثاق الذي عاهدوه عليه، فقال: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي واذكروا أيضا أيها المؤمنون في نعم الله التي أنعم عليكم ميثاقه الذي واثقكم به، وهو عهده الذي عاهدكم به، واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي ذكر الله في هذه الآية، أي مواثيقه عنى؟ فقال بعضهم: عنى به ميثاق الله الذي واثق به المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة له فيما أحبوا وكرهوا، والعمل بكلّ ما أمرهم الله به ورسوله، قاله ابن عباس والسدي، وقال آخرون: بل عنى به جلّ ثناؤه: ميثاقه الذي أخذ على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ فقالوا: بلى شهدنا، قاله: مجاهد، وقيل: هو خطاب لليهود بحفظ ما أخذ عليهم في التوراة، والذي عليه الجمهور من المفسرين، هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبيّ ﷺ على السمع والطاعة في المَنْشَط والمَكْرَه إذ قالوا : سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة، وأضافه تعالى إلى نفسه كما قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ - الفتح : من الآية 10، فبايعوا رسول الله ﷺ عند العَقَبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه.

وأنعم عليكم أيضا بتوفيقكم لقبول ذلك منه بقولكم له: سمعنا وأطعنا، فَفُوا لله أيها المؤمنون بميثاقه الذي واثقكم به، ونعمته التي أنعم عليكم في ذلك بإقراركم على أنفسكم بالسمع له والطاعة فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه، يف لكم بما ضمن لكم الوفاء به، إذا أنتم وفيتم له بميثاقه من إتمام نعمته عليكم، وبإدخالكم جنته وبإنعامكم بالخلود في دار كرامته، وإنقاذكم من عقابه وأليم عذابه.

وإنما أضيف الميثاق إلى الله تأكيداً لوجوب الوفاء به؛ ولأنه سبحانه هو الذي شرعه، وهو الذي سيحاسبهم على نقضه وعدم الوفاء به.

وبعد أن ذكر الله تعالى المؤمنين بنعمته عليهم، وبميثاقه الذي واثقهم به، وأمرهم بالوفاء بما كلفهم به، ختم سبحانه الآية بأمرهم بخشيته والخوف منه فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: اشكروا الله - أيها المؤمنون - على نعمته، وكونوا أوفياء بعهودكم، واتقوا الله وراقبوه في كل ما تأتون وما تذرون، وصونوا أنفسكم عن كل ما يكرهه لكم، فإنه سبحانه عليم علما تاماً بخفيات الأمور الكامنة في الصدور. وبكل ما يظهره الإِنسان ويبطنه، وسيحاسبكم يوم القيامة على أعمالكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإِسَاءَتِه.

وكرر سبحانه اسمه الجليل لإشعار المؤمنين برقابته التامة عليهم، واطلاعه على أحوالهم المختلفة، وأعمالهم المتنوعة وللإشارة إلى أنه إذا كان سبحانه يعلم خفيات الأمور، فمن باب أولى يعلم جلياتها.

أقوم تعلماتي:

1 - أبين النعمة المطلوب من المؤمن تأملها في الآية الكريمة.

2 - أذكر الهدف من أمر الله عباده بتذكر نعمه عليهم.

3 - أحدد معنى الميثاق المذكور في الآية.

4 - أبين سبب ختم الآية بالأمر بتقوى الله.

الدرس 19

العـــــدل

درس نظري

أهداف الـــدرس

- تعرف حكم إقامة الحق والإخلاص لله تعالى.
- إدراك ضرورة أداء شهادة الحق عند الحاجة .
- الالتـزام بضـرورة التخلص مـن كل العواطـف التي تحـول دون أداء الشهادة.

مدخل تمهيدي :

أقـام اللـه عز وجل هذا الدين على مبدإ العدل بين العباد ، وألزمهم به في كل أمورهم والحرص عليه بين جميع خلقه، لأنه سبب في الحصول على الرقي والأمان، وغيرها من النعم التي لا تحصى، فكيف كفل الله سبحانه العدل للجميع؟ وما هي الآليات التي حث سبحانه على اعتمادها عند أداء هذا الواجب؟

أقرأ وأتدبر

قال الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾

سورة: المائدة : آية 8

أسباب النزول:

قيل: نزلت هذه الآية في يهود بني النضير حين ائتمروا على الفتك برسول الله ﷺ، فأوحى الله إليه بذلك، ونجا من كيدهم، فأرسل عليه الصلاة والسلام يأمرهم بالرحيل من جوار المدينة، فامتنعوا وتحصنوا بحصونهم، فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم بجمع من أصحابه، وحاصرهم ست ليال، اشتد الأمر فيها عليهم، فسألوا النبي ﷺ أن يكتفي منهم بالجلاء، وأن يكف عن دمائهم، وأن يكون لهم ما حملت الإبل، وكان البعض من المؤمنين يرى لو يمثل النبي ﷺ بهم، ويكثر من الفتك فيهم، فنزلت الآية لنهيهم عن الإفراط في المعاملة بالتمثيل والتشويه، فقبل النبي عليه الصلاة والسلام من اليهود ما اقترحوه.

وقيل: نزلت في المشركين الذين صدوا المسلمين عن المسجد الحرام عام الحديبية، كأنه تعالى أعاد النهي هنا ليخفف من حدة المسلمين ورغبتهم في الفتك بالمشركين بأي نوع من أنواع الفتك.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **قَوَّامِيـنَ:** جمع قَوَّام، وهو صيغة مبالغة من قائم. **والقَوَّام:** هو المبالغ في القيام بالشيء، وفى الإتيان به على أتم وجه وأحسنه.
- **شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ:** تشهدون بالعدل بلا محاباة.
- **خَبِيـرٌ:** عالم مطلع على كل شيء على وجه الدقة والضبط.

أحدد المستفاد من الآية:

- أبين الدافع الحقيقي الذي يجب أن تنبني عليه الشهادة.
- أستخلص الأوامر والنواهي الواردة في الآية.

التفسير والبيان :

أولا : وجوب الإخلاص لله عند إظهار الحق:

بدأ الله الآية بالنداء الموجه للمؤمنين للقيام بالحق والعدل على الوجه الأكمل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾، أي ليكن من دأبكم وعادتكم القيام في أنفسكم بالإخلاص لله وحده، من أجل ثوابه في كل ما تعملونه من أمر دينكم ودنياكم، بأن تريدوا بعملكم الخير والتزام الحق دون اعتداء على أحد، والقيام في غيركم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتغاء مرضاة الله، مظهرين الحق للحاكم ليحكم به، أو مقرين به لصاحبه، وفي كل حال يجب أن يكون الإدلاء بالشهادة بالعدل بلا محاباة لمشهود له، ولا لمشهود عليه، ولا لأجل قرابة أو مال أو جاه، ولا تركه لفقر أو مسكنة. وأداء الشهادة فرض عين على من تحملها متى دُعِيَ إليها وخِيفَ من ضياع الحق، بل تجب حينها ولو لم يدع لها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾- البقرة: من الآية 283 ، وقال: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ - الطلاق: من الآية 2.

وفى ندائه سبحانه بقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ بصفة الكينونة الدالة على الدوام، وبصيغة المبالغة الدالة على الكثرة، لتمكين صفة الطاعة له من نفوسهم، وترسيخها في قلوبهم.

فكأنه سبحانه يقول لهم: روضوا أنفسكم على طاعة خالقكم، وعودوها على التزام الحق والعدل. واجعلوا ذلك شأنكم في جميع الظروف والأحوال، فلا يكفى أن تلتزموا الطاعة والعدل مرة أو مرتين، وإنما الواجب عليكم أن يكون التزامكم لذلك في كل أوقاتكم وأعمالكم.

ثانيا: التجرد من العواطف عند أداء الحقوق لأصحابها:

من الواجب إقامة العدل في المعاملات مع كل واحد، صديقا كان أو عدوا، ولذلك قال سبحانه : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي ولا تحملنكم العداوة والبغضاء على عدم العدل في أمر من تبغضونهم بالشهادة لهم بحقهم إذا كانوا أصحاب حق، أو الحكم لهم بذلك، فالمؤمن يؤثر العدل على الجور والمحاباة، ويجعله فوق الأهواء وحظوظ الأنفس، وفوق المحبة والعداوة مهما يكن سببهما، وفي هذا دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه؛ لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لما كان لأمره بالعدل فيه وجه. ودلت الآية أيضا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن المثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمُّونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصدا لإيصال الغم والحزن إليهم. و من عوائق الشهادة بالحق والحكم بالعدل:

- الشنآن.

- الأنانية والرغبة في حماية النفس والدفاع عنها بالباطل.

- الحمية والعصبية للأهل والأقارب.

- الشـهادة للغني خوفا منه والشـهادة على الفقير شـفقة عليه، كما نبهت إليه الآية المماثلة في سـورة النسـاء في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿135﴾ ﴾ - سورة النساء: الآية 135 -

فالآية تخبر بالواجب الشرعي لتجنب كل تلك العوائق، ويتحدد في تجنب ما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم، فاشهدوا له، فلو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق.

وقال سبحانه: ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ مع أن العدل دليل التقوى ولبابها، لأن المؤمن في حال حربه وتعامله مع عدوه قد يرى أن من التقوى أن يستبيح ماله، وأن يأخذ منه ما يمكن أخذه، فبين له القرآن الكريم أن الأقرب إلى التقوى التامة أن يحسن معاملة عدوه، وأن لا يعتدي على حق من حقوقه.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ تحديد لأحد ثمار العدل، أي إن العدل مع من تبغضونهم أقرب لتقواكم لله، وهي جملة توكيد للجملة السالفة للعناية بأمر العدل، فهو فريضة لا هوادة فيها، لأنه يقرب لتقوى الله ويبعد عن سخطه، وترك العدل من أكبر المعاصي لما ينشأ عن ذلك من المفاسد التي تقوض نظم المجتمع، وتقطع الروابط بين الأفراد وتجعل بأسهم بينهم شديدا، ومن ثماره أيضا:

- إشاعة الطمأنينة في النفوس.

- استقامة القضاء ويسره.

- زيادة الإيمان والتقوى.

- إصلاح ذات البين.

- الأمن والاستقرار والرفاهية.

- علامة استقامة دين المرء وورعه وعلو مقامه.

- أداة ضرورية لرعاية الحقوق و إرجاع الأمور إلى نصابها، وتخليص المجتمع من الجور والظلم.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، أي: واتقوا الله - أيها المؤمنون - في كل ما تأتون وما تذرون، وصونوا أنفسكم عمّا لا يُرضِيه، وافعلوا ما أمركم به، إن الله تعالى لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، وسيجازيكم يوم القيامة بما تستحقونه على حسب أعمالكم. فالجملة الكريمة تذييل قصد به التحذير من مخالفة أوامر الله، ومن انتهاك حرماته.

وبذلك نرى الآية الكريمة قد أمرت المؤمنين بالمداومة على طاعة الله في جميع الأوقات والأحوال، وبأداء الشهادات

الدرس 20

درس نظري

محاربة الفساد

أهداف الدرس

- إدراك أن من خرج عن الإمام وكون عصابة تروع المسلمين فهو محارب لله ورسوله.
- تعرف حكم الله فيمن يعتدي على الناس ويحارب الحاكم.
- معرفة حكم توبة هؤلاء المحاربين.

مدخل تمهيدي:

صان الإسلام بتشريعه الخالد كرامة الإنسان، وجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة، تستوجب أشد أنواع العقوبات، فكل إخلال بأمن المجتمع بالاعتداء على أموال الناس وأرواحهم يستحق بموجبه الجاني العقوبة الرادعة له ولغيره، إلا أن الجريمة قد تبلغ فظاعتها، بحيث تمس أمن المجتمع كله، وتنشر الرعب والخوف في أوساط الناس الآمنين، وهذا النوع هو الذي يصطلح عليه بالحرابة أو قطع الطريق، فما مفهوم الحرابة؟ وما العقوبات التي شرَّعها للمحاربين؟ وما حكم توبتهم؟

أقرأ وأتدبر:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝33 إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝34 ﴾

سورة المائدة: آيتان 34/33

أسباب النزول:

روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَاسْتَوْخَمُوا الْأَرْضَ - وجدوها رديئة المناخ - فَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفَلَا تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ، فَتُصِيبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا» قَالُوا: بَلَى، فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَصَحُّوا، فَقَتَلُوا رَاعِيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَطْرَدُوا النَّعَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمْ، فَأُدْرِكُوا، فَجِيءَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ، فَقُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، ثُمَّ نَبَذَهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى مَاتُوا. فنزلت الآية.

أتعرف مدلولات الألفاظ والعبارات:

- **يُحَارِبُونَ:** من المحاربة، والمحاربة: مفاعلة من الحرب، وهى ضد السلم، والمراد بها هنا: قطع الطريق على الآمنين بالاعتداء عليهم بالقتل أو السلب أو ما يشبه ذلك.
- **فَسَادًا:** ضد الصلاح ، وهو هنا قطع الطريق والاعتداء على الأنفس والأعراض.
- **يُقَتَّلُوا:** المبالغة في القتل لإخافة المفسدين وردعهم.
- **يُصَلَّبُوا:** ربطهم على خشبة أو نحوها منتصبي القامة وممدودي الأيدي.
- **مِنْ خِلَافٍ:** أي مخالفة، فتقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو العكس.
- **يُنْفَوْا:** يُبعدوا ويطردوا من بلدهم إلى بلد غيره.

- خِــزْيٌ: ذل وفضيحة.
- تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ: تتمكنوا من عقابهم.

أحدد المستفاد من الآيتين:

- أستخرج الصفات التي يتصف بها المحاربون لله ورسوله.
- أذكر أنواع العقاب الدنيوي والأخروي الذي يستحقه المفسدون.
- أستنبط حكم من تاب منهم.

التفسير والبيان :

أولا :المفسدون في الأرض محاربون لله ورسوله:

بعد أن ذكر سبحانه في الآيات السابقة تغليظ الإثم في قتل النفس بغير حق، وتعظيم الأجر لمن عمل على إحيائها، أتبع ذلك ببيان الفساد المبيح للقتل، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ والمحاربون هم الذين لهم قوة ومنعة وشوكة، ويتعرضون للمارة من المسلمين أو أهل الذمة، ويعتدون على الأرواح والأموال والأعراض. وهؤلاء المحاربون سمى الله فعلهم محاربة لله ورسوله على سبيل المجاز والاستعارة، إذ الله سبحانه وتعالى لا يحارب ولا يغالب، لما له من صفات الكمال، وتنزهه عن الأضداد والأنداد، فالكلام على حذف مضاف، أي يحاربون أولياء الله، فعبر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكبارا لإذايتهم، وتهويلا وتشنيعا، وبيانا لخطورة هذه الجريمة على الحق والعدل الذي أنزله الله على رسوله.

وصدر سبحانه الآية بلفظ ﴿إِنَّمَا﴾ المفيد للقصر، لتأكيد العقاب، ولبيان أنه عقاب لا هوادة فيه، لأنه حد من حدود الله تعالى على تلك الجريمة النكراء التي تقوض بنيان الجماعة، وتهدم أمنها، وتزلزل كيانها، وتبعث الرعب والخوف في نفوس أفرادها.

وبناء على أن جرائم القتل والحرابة والسرقة متداخلة، وعقوباتها مختلفة ومحددة ومميزة، فإن ذلك يقتضي تحديد مواصفات المحاربين، ولذلك اشترط بعض أهل العلم في المحاربين ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون لهم قوة ومنعة وشوكة، ليمتازوا عن السُّرَّاق، وأن يعتدوا على المارة بسلاح أو غيره، سواء كانوا جماعة أم واحدا، وسواء كان الاعتداء بالقتل أو بسلب الأموال أم بمجرد إخافة الناس وترويعهم، وسواء أكان ذلك ليلا أو نهاراً.

الثاني: أن يكون قطع الطريق في دار الإسلام، إلا أن العلماء اختلفوا فيمن يستحق اسم المحاربة إذا كان ذلك خارج المصر أو داخله:

فقال مالك: المحارب عندنا من حمل على الناس السلاح وأخافهم في مصر أو برية.

وقال أبو حنيفة: المحارب الذي تجري عليه أحكام قطاع الطرق من حمل السلاح في صحراء أو خارج المصر بين حدود البلاد، أما داخل المصر فإن المعتدى عليه يمكنه الاستغاثة بالآخرين.

وقال الشافعي: من كابر في المصر باللصوصية كان محاربا وسواء في ذلك المنازل والطرق، وديار أهل البادية والقرى.

وقال ابن المنذر: الكتاب على العموم، وليس لأحد أن يخرج من جملة الآية قوما بغير حجة، لأن كُلاًّ يقع عليه اسم المحاربة .

فيتبين من خلال هذه الآراء أن الجمهور لم يفرقوا بين داخل المصر وخارجه، فيمكن حدوث جريمة المحاربة فيهما على حد سواء، والواقع يثبت صحة هذا الرأي.

الثالث: أن يأخذوا المال مجاهرة ومكابرة، فإن أخذوه خفية فهم سراق، يقام عليهم حد القطع، وإن اختطفوه وهربوا فهم منتهبون لا قطع عليهم.

ثانيا: عقوبات المحاربين:

أما عقوبة المحاربين المذكورة في الآيات فهي نوعان: عقوبة دنيوية، وأخروية.

قال سبحانه عن العقوبات الدنيوية: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾

فمن خلال الآية يتبين أنها أربع:

- **التقتيل حَدًّا من غير صلب:** إن قَتَلُوا فقط، ولا يسقط القتل بعفو الأولياء، بل يجب على الحاكم إنزال هذه العقوبة بالمحاربين، ولا يملك العفو عنهم أو إسقاطها، وهذا يستفاد من قول الله تعالى ﴿يُقَتَّلُوٓاْ﴾ بصيغة التفعيل الدالة على المبالغة.

- **القتل مع الصلب:** إن قتلوا وأخذوا المال، وليس صلبه من قبيل المُثْلة المنهي عنها، لأن المُثْلَة قطع بعض الأعضاء؛ وقال الشافعية والحنابلة: الصلب يكون بعد القتل، لأن الله تعالى قدَّم القتل على الصلب لفظا، وفي صلبه حيا تعذيب له وتمثيل به، وقد نهى النبي ﷺ عن المُثْلَة وعن تعذيب الحيوان، والغرض من صلبه بعد قتله هو التنكيل به وزجر غيره ليشتهر أمره، ويعتبر به غيره.

- **قطع اليد والرجل من خلاف:** أي لا تكون اليد والرجل المقطوعتان من جانب واحد بل تكونان من جانبين مختلفين، كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، إن أخذوا المال لا غير.

- **النفي من الأرض:** إن أخافوا الناس في الطريق فقط، ولم يقتلوا نفسا، ولم يأخذوا مالا، ومعنى النفي عند الحنفية: الحبس لأن فيه نفيا عن وجه الأرض التي يحيى فيها الناس عادة بحرية وطمأنينة، وأما التغريب ففيه إضرار ببلد آخر، وتمكين له من الهروب إلى دار الحرب، ورأي المالكية: أن النفي هو إخراجه من البلد الذي كان فيه إلى بلد آخر بينهما مسافة القصر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، ورأي الجمهور في المراد بالنفي هو الحبس.

وقد دلّت الآية على أمرين:

- **أحدهما:** اختلاف الفقهاء في معنى التخيير؛ لأنّ أصل (أو) الدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء في الوقوع، ويقتضي ذلك في باب الأمر ونحوه التخيير، فقال قوم من السلف: الآية تدل على التخيير بين هذه العقوبات. فمتى خرج المحاربون بقطع الطريق، وقَدَرَ الإمام عليهم، فهو مخير بين أن يوقع بهم أي نوع من العقاب من هذه الأنواع الأربعة: القتل أو الصلب

أو التقطيع أو النفي، حتى ولو لم يقتلوا ولم يأخذوا مالا، ما داموا قد اجتمعوا وقصدوا تهديد أمن الناس. فالمسألة متروكة لتقدير الحاكم، وعليه أن يوقع بهم ما يراه مناسباً لزجرهم وردعهم وجعلهم عبرة لغيرهم، حتى لا يستشري الشر في الأمة.

ومستند هذا القول أن ظاهر (أو) للتخيير، كما في قوله تعالى في كفارة الفدية: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ - البقرة: من الآية 196 . فأو هنا للتخيير، وكذلك في الآية التي معنا.

وقال قوم آخرون من السلف: الآية تدل على ترتيب الأحكام وتوزيعها على ما يليق بها من الجنايات. أي: أن (أو) لتنويع العقوبات على حسب طبيعة الجرائم. فإذا قتل هؤلاء المحاربون غيرهم وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا فقط قتلوا، وإذا أخذوا المال فحسب قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا تجمعوا واتفقوا على ارتكاب الجرائم من غير أن يرتكبوا بالفعل نفوا من الأرض. وبهذا الرأي قال ابن عباس، وقتادة، والأوزاعي، وهو مذهب الشافعية والأحناف والحنابلة.

- والأمر الثّاني: أنّ هذه العقوبات هي لأجل الحرابة وليست لأجل حقوق الأفراد من النّاس، كما دلّ على ذلك قوله بعدُ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية وهو بيّن. ولذلك فلو أسقط المعتدى عليهم حقوقهم لم يسقط عن المحارب عقوبة الحرابة.

أما قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، ففيه إشارة إلى آثار هذه العقوبات في الدنيا وفي الآخرة، وهو الذل والفضيحة في الدنيا ليكونوا عبرة وعظة لغيرهم من المسلمين، أما في الآخرة فينتظرهم عذاب عظيم جدا بسبب ما ارتكبوا من جرائم هزت أركان المجتمع وآذت الناس في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

ثالثا: شروط قبول توبة المحاربين:

لقد استثنى الله عز وجل ممن يستحقون العقوبة من المحاربين من تابوا إلى الله ورجعوا إلى الحق والصواب وندموا على ما اقترفوه من جرائم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿34﴾ ﴾، فإذا ارتدع هؤلاء المحاربون المفسدون عن غيهم وفسادهم، نتيجة استشعارهم نكارة الجريمة، وتوبة منهم إلى الله، وهم في قوة ومنعة جديرة بأن تكون توبتهم خالصة لله تعالى ليس سببها الخوف من عقاب الدنيا، والحالة هذه أن الحاكم لم يتمكن منهم ويقدر على عقوبتهم، فإن عقوبتهم تسقط، ولم يعد للسلطان عليهم من سبيل، ومن ثم لا يجمع لهم بين أشد العقاب في الدنيا والعذاب في الآخرة، بل يصيرون لمغفرة الله ورحمته، والحكمة في إسقاط العقوبة عنهم في هذه الحالة هي تقدير توبتهم - وهم يملكون العدوان - واعتبارها دليل صلاح واهتداء، وتشجيعهم على التوبة، والرجوع عن المحاربة والإفساد.

وهذه التوبة تسقط ما هو من حقوق الله تعالى فقط وهو الحد، أما حقوق العباد من القصاص وضمان الأموال فتبقى، ويكون للأولياء الحق في المطالبة بالقصاص من القاتل، واسترداد المأخوذ، وولي القتيل مخير بين القصاص والدية والعفو، ولا تصح التوبة إلا برد الأموال المسلوبة لأصحابها، وإذا أعفاه الحاكم من حق مالي، وجب ضمانه من بيت المال، ومن تاب بعد القدرة عليه ظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه، وتقام عليه الحدود، لأنه متهم بالكذب في توبته والتصنع فيها إذا نالته يد الإمام ليفلت من العقاب.

(أ)

- **ابن جزي:** هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي الأندلسي، ولد عام 693هـ وتوفي شهيدا يوم تاسع جمادى الأولى سنة 741هـ كان فقيها عالما مقرئا، مدرسا، من مصنفاته كتاب «التسهيل» في تفسير القرآن الكريم، وكتاب الفائق في التحرير والتنظيم والمسمى بـ «القوانين الفقهية».

- **ابن رشد:** هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد الأندلسي القرطبي المالكي، ولد في قرطبة سنة 520هـ بدأ مند صباه في طلب العلم، توفي سنة 595هـ مخلفا مصنفات في الفلسفة وعلم الكلام والفقه والفلك والنحو والطب منها: «تهافت التهافت» و«الدرس الكامل في الفقه» و«الكليات» و«بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه.

- **ابن عاشر:** هو عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، ولد بفاس990هـ ونشأ بها، تفنن في علوم شتى، منها معرفة القراءات والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض والمنطق والطب، ومن مصنفاته: «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»، توفي بفاس سنة 1040هـ .

- **ابن القيم:** هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الحنفي المشهور بابن القيم الجوزية، ولد سنة 691هـ وتوفي سنة 751هـ من أشهر تلاميذ الشيخ ابن تيمية، وحامل لواء مدرسته الإصلاحية، له مؤلفات عديدة أشهرها «أعلام الموقعين».

- **ابن ماجه:** هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى الملقب بابن ماجة ولد سنة 209 هـ رحل إلى عدة بلدان لطلب العلم، من أشهر مصنفاته كتاب «السنن» وله مصنفات أخرى في التفسير والتاريخ توفي سنة 273 هـ .

- **أحمد بن محمد بن حنبل:** بن هلال بن أسد الشيبانى، أبو عبد الله المروزي، ولد ببغداد سنة 164 هـ ونشأ ومات بها، وطاف البلاد في طلب العلم و دخل الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة. وقال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل. امتحن أحمد بن حنبل وضرب وحبس ولم يجد ناصرا، توفي سنة 241هـ مخلفا كتابه الضخم « المسند».

- **أبو داود:** سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدى السجستانى نسبة إلى سجستان، أبو داود، صاحب كتاب «السنن» في الحديث، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة، ولد سنة 202هـ ورحل إلى بغداد، وتفقه بالإمام أحمد بن حنبل ولازمه، ورحل إلى الحجاز والعراق وخراسان والشام ومصر وغيرها، استقر بالبصرة، وبها توفي سنة 275هـ.

- **أبو ذر الغفاري:** اسمه جندب بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ. اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كبيرا، من السابقين إلى الإسلام، وكان يوازي ابن مسعود في العلم، مات سنة 32 هـ بالربذة في خلافة عثمان.

- **أبو هريرة:** عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أحفظ الصحابة وأكثرهم للرواية، وعدد مروياته 5374 حديثا، كان حافظا متثبتا ذكيا مفتيا، واختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، قيل إن اسمه في الجاهلية عبد شمس فسماه الرسول صلى الله عليه

وسلم عبد الرحمن، وغلب عليه لقب (أبو هريرة)، وقد لقبه به النبي صلى اله عليه وسلم لأنه رآه يحمل هريرة في كمه، أسلم عام خيبر سنة 7هـ ، لزم الرسول صلى اله عللیه وسلم وواظب عليه رغبة في العلم. توفي سنة 57 هـ.

- **أنس بن مالك:** هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ، و خادمه، أمه أم سليم (الرميصاء) بنت ملحان الأنصارية، أتت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له: هذا أنس خادم لبيب يخدمك وهبته إليك فقبله، وخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ولازمه حتى قبض، ثم رحل إلى الشام، ومنها إلى البصرة، فمات بها سنة 92 هـ وقيل سنة 93. وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة. وقال أبو هريرة: ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم، يعنى أنس.

- **الأوزاعي:** هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، نسبة إلى الأوزاع، وهي قرية من قرى دمشق، إمام أهل الشام في الفقه والحديث، وكان مع ذلك بارعا في الأدب والكتابة، وهو من كبار تابعي التابعين وأئمتهم البارعين، توفي ببيروت في صفر عام 157 هـ وعمره سبعون سنة.

(ب)

- **البخاري:** هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ولد ببخارى سنة 194 هـ ونشأ يتيما، وأخذ يحفظ الحديث وهو دون العاشرة، ولما شب رحل إلى مكة، وأدى فريضة الحج، وبقي بها زمنا طويلا يتلقى العلم على أئمة الفقه والأصول والحديث، ومنها رحل إلى بلدان كثيرة قصد طلب العلم، صنف كتابه «الجامع الصحيح» في نحو ست عشرة سنة. توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت 256هـ.

(ت)

- **الترمذي:** هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى، أبو عيسى الترمذي من أهل ترمذ، ولد سنة 209هـ وتتلمذ على البخاري وشاركه في بعض شيوخه، صنف كتابه الجامع المعدود من كتب الحديث الستة. مات بترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة 279هـ .

(ج)

- **جابر بن عبد الله:** هو جابر بن عبد الله بن عمر الأنصاري الخزرجى السلمي، أبو عبد الله المدني ولد بالمدينة سنة 16 ق.هـ ،أمه نسيبة بنت عقبة، وقد شهد العقبة، وشهد المشاهد كلها، إلا بدرا و أحدا، من المكثرين في الرواية للأحاديث، وصلت 1540 حديثا، وكان آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة سنة 79 هـ .

(ح)

- **الحسن البصري:** هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد بالمدينة سنة 21هـ وشب في كنف علي بن أبي طالب، هو تابعي، ومن العلماء الذين كان عمر بن عبد العزيز يستشيرهم عندما ولي الخلافة، له كتاب فضائل مكة. توفي بالبصرة سنة 110هـ

(غ)

- **الغزالي:** هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد بالطبران (قصبة طوس) بخراسان سنة: 450 هـ رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد فالحجاز فالشام فمصر، في سبيل طلب العلم والتفقه في الدين، حتى أصبح عالما فقيها، له عدة مؤلفات منها: «إحياء علوم الدين» ، «منهاج العابدين»، «الاقتصاد في الاعتقاد»، وغيرها. توفي سنة 505 هـ يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة.

(ق)

- **القرافي:** هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي، نسبته إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب، وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة، من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، له مصنفات عديدة، منها: «أنوار البروق في أنواء الفروق»، و«الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام»... توفي سنة 684هـ.

- **القرطبي:** هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر، رحل إلى المشرق فاستقر بمنية ابن الخصيب بمصر، ودفن بها سنة 671هـ له تصانيف عدة منها: «الجامع لأحكام القرآن»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، و«التذكار فى أفضل الأذكار».

(م)

- **الإمام مالك:** هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك المدني، ولد سنة :93 هـ من كبار أتباع التابعين، إمام دار الهجرة، أدرك جماعة من التابعين الذين أخذوا العلم عن الصحابة، وكان يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به، وأشهر مؤلفاته «الموطأ». توفي سنة: 179 هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع.

- **مجاهد بن جبر:** ويقال ابن جبير المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي مولاهم من التابعي ، كان مولده سنة 21هـ في خلافة عمر، أخذ التفسير عن ابن عباس، وهو ثقة، إمام في التفسير والقراءة والفقه، كثير الحديث، وقال الذهبي عنه: «أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به». مات ساجدا سنة 104 هـ و هو ابن ثلاث وثمانين سنة.

- **معاذ بن جبل:** بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو الأنصاري الخزرجى، أبو عبد الرحمن المدنى، صحابي، شهد بيعة العقبة، وشهد الغزوات كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا إلى اليمن، وعن أنس بن مالك قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. توفي معاذ بن جبل سنة سبع عشرة، وفي تلك السنة فتح بيت المقدس وهو ابن أربع و ثلاثين بناحية الأردن.

- **المغيرة بن شعبة** بن أبي عامر بن مسعود بن معتب الثقفي، أبو عيسى، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم عام الخندق، وأول

مشاهده الحديبية، وكان يقال له: مغيرة الرأي، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وبعثه ﷺ مع أبى سفيان بن حرب إلى الطائف، ولما توفي رسول الله ﷺ بعثه أبو بكر إلى أهل النجير، وشهد اليمامة، وفتوح الشام واليرموك التي أصيبت عينه فيها، ثم القادسية. مات بالكوفة في شعبان سنة 50 هـ في خلافة معاوية بن أبى سفيان، وهو ابن سبعين سنة.

- **مسلم:** هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري، أحد أئمة الحديث، ولد بنيسابور سنة 204 هـ ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق. أشهر كتبه: «صحيح مسلم» ، كتبه في خمس عشرة سنة، ومن كتبه أيضا : «المسند الكبير»، و«كتاب أولاد الصحابة» وغيرها... توفي بظاهر نيسابور 261هـ.

(ن)

- **النسائي:** هو أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبد الرحمن النسائى (صاحب كتاب « السنن »). ولد سنة215 هـ بـنسا بخراسان وإليها نسبته ،أحد الأئمة المبرزين و الحفاظ المتقنين و الأعلام المشهورين ، طاف البلاد، وسمع بخراسان و العراق و الحجاز و مصر و الشام و الجزيرة من جماعة يطول ذكرهم ، توفي بفلسطين بالرملة سنة 303 هـ ودفن في بيت المقدس، صنف النسائي سننه وسمى كتابه هذا السنن الكبرى، واستخلص منه الصغرى وسماه المجتبى في السنن.

- **الإمام النووي:** هو شيخ الإسلام، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الدمشقي، نسبة إلى بلدة «نوى»، ولد في محرم عام 631 هـ كان فقيها، حافظا، زاهدا، متبحرا في علوم الحديث والفقه، وألف في هذه العلوم مؤلفات عدة، منها: «رياض الصالحين» ، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج».

(و)

- **الواحدي:** هو علي بن أحمد بن محمد بن علي، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. من كتبه: «أسباب النزول»، و«البسيط»، و«الوسيط»... توفي بنيسابور سنة 468 هـ .

- **وهبة الزحيلي:** ولد سنة 1932م ببلدة دير عطية من نواحي دمشق، حصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة بالأزهر عام 1956م، وحصل على إجازة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية بالأزهر، وحصل على الإجازة في الحقوق من جامعة عين شمس عام 1957م، ونال شهادة الماجستر سنة 1959م من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق عام 1963م. عين مدرسا بجامعة دمشق عام 1963م، ثم أستاذا مساعدا سنة 1969م، ثم أستاذا عام 1975. من مؤلفاته: «التفسير المنير»، و«الفقه الإسلامي وأدلته».

(ي)

- **يوسف القرضاوي:** هو أبو محمد يوسف عبدالله القرضاوي، ولد في قرية صفط تراب بمصر سنة 1926م، حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، وأكمل تعليمه في معاهد الأزهر، وحصل على الدكتوراه سنة 1973م. له مؤلفات عديدة، منها: «فقه الزكاة»، و«العبادة في الإسلام»، و «الخصائص العامة للإسلام»...

رقم مصادقة قطاع التربية الوطنية: 31CB2 1107
تاريخ المصادقة: 06 دجنبر 2007
رقم الايداع القانوني : 2007/3293
طبعة : 2008
ر. د. م. ك: 2 - 015 - 24 - 9954

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و بارك على محمد و على آل مُحمد كما باركت على ابراهيم و على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيدٌ لا تنسوني من دعائـــــــــكم

مكتبة السلام الجديدة
34/31 ساحة مولاي يوسف
الأحباس – الدار البيضاء
هاتف: 16 40 30 022 - 11 37 30 022
فاكس: 47 10 44 022
E-mail: lib.essalam@menara.ma

الدار العالمية للكتاب
63 شارع مولاي إدريس الأول
هاتف: 08 36 83 022 / 21 88 82 022
فاكس: 41 35 83 022
E-mail: contact@mmcedit.com

ثمن البيع للعموم
Prix de Vente Public
30,00 DH درهما